

## الأخفش الأوسط أمُقلد هو أمُجدد؟

بقلم

د . عبدالكريم بن محمد الأسعد\*

ترجمة الأخفش وأضواء على شخصيته العلمية :

عاش الأخفش الأوسط في فترة ازدهار الدولة العباسية العلمي زمن المهدي والرشيد، حيث سادت الجو العلمي العام آنذاك المظاهر الآتية :  
كان القرآن الكريم بين أيدي النحويين ، وقارئوه معهم ، والبادية الفصيحة حولهم ، والقبائل بين ظهرائهم تحيط بالبصرة والكوفة ومنها يأخذون ما يريدون ، كما كان النحاة يذهبون إلى الأعراب الفصحاء يسألونهم عن كلمة أو يسمعون أحاديثهم أو ينقلونها من أفواه حاملي المأثور وحافظيه منهم ، ثم يروونها عنهم .

كانت حلقات الدرس تعقد في المساجد ، ومجالس المناظرة تقام في

\* يعمل استاذاً للنحو والصرف بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الملك سعود ، يحمل ليسانس الآداب ، ولسانن شريعة ، ودبلوم تخصص تدريس ، وماجستير في النحو والصرف ، ودكتوراه في النحو والصرف .

له من المؤلفات

- ١ - بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة .
- ٢ - احاديث في تاريخ البلاغة وفي بعض قضاياها .
- ٣ - الوسيط في تاريخ النحو العربي .
- ٤ - الحاشية العصرية على شرح شذور الذهب لابن هشام الانصاري . جزءان . وله مؤلفات تحت الطبع .

دواوين الملوك والأمراء وبيوت عليّة القوم وأعيانهم، وكان الأعراب يحوسون خلال هذه الحلقات والمجالس ويقفون فيها على دروس النحويين ومناظراتهم.

ظهرت حاجة الخلفاء والأمراء والعظماء آنذاك للعلماء لتأديب أولادهم أو تزيين مجالسهم بما لا يقل عن حاجة العلماء إلى أموالهم. انتشرت الأفكار الفلسفية ونشط الناس لدراساتها، فتجلى الاعتزال، وظهر أثره القوي في علوم الدين، وساد الجدل فيها، وعم المنطق، وسيطر حتى على بعض الخلفاء كالمأمون وغيره.

تأثر البحث اللغوي والنحوي حينذاك بالعلوم العقلية وما فيها من العلل والبراهين، مما أخرجه إلى حد كبير عن النقل والسماع المحض، كذلك تأثر اللغويون والنحويون بهذا الجو تأثراً عميقاً ظهر في مناهجهم في الدرس وطرائقهم في التفكير والتوجيه والتحليل.

وقد اشترك في لقب «الأخفش»<sup>(١)</sup> كثيرون من مختلف الأمصار، أشهرهم ثلاثة، هم:

١- أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، الأخفش الأكبر، أو الكبير، النحوي البصري، المتوفى سنة ١٥٧هـ، أو سنة ١٧٧هـ، وكان من أكابر علماء العربية ومقدميهم، أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى، كما أخذ عنه سيبويه.

٢- أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي - صاحبنا - الأخفش الأوسط، المتوفى سنة ٢١١هـ، أو سنة ٢١٤هـ، وسنفصل القول عنه بعد قليل.

٣- أبو الحسن علي بن سليمان، الأخفش الأصغر، أو الصغير المتوفى سنة

٣١٥هـ ببغداد، قرأ على ثعلب والمبرد واليزيدي، ورحل إلى مصر ثم إلى حلب فبغداد، قال المزياني إنه «لم يكن بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو، وما علمته صنف شيئاً ولا قال شعراً، وكان إذا سئل عن مسألة في النحو ضجر وانتهر من يواصل مساءلته»<sup>(٢)</sup> لكن ياقوت ذكر أن له كتاب "الثنية والجمع" وكتاب "شرح سيبويه" وكتاب "تفسير رسالة كتاب سيبويه"<sup>(٣)</sup>.

وقد تعارف الباحثون على أن لقب "الأخفش" إذا أطلق انصرف إلى الأخفش الأوسط<sup>(٤)</sup> دون سواه؛ لأنه أشهر الأخافش على الإطلاق، فإطلاقه عن القيد يغني لشهرته عن لزوم تقييده به دائماً، في حين لا غنى عن تقييد غيره على وجه الدوام بما ينبغي أن يقيد به من خاص لقبه.

سكن سعيد بن مسعدة البصرة، مولى لمجاشع بن دارم من تميم، فقطعت نشأته في بني مجاشع بينه وبين فارسيتها، وأزالت حياته في البصرة اللكنة عن لسانه، وجعلته يلتزم بالتعبير الفصيح ويحرص على نقاء اللغة وينكر ما ألف الناس استعماله من العامية أو من غير العربية<sup>(٥)</sup>.

وقد حملته دواعي الدين وطلب الرفعة على الدرس والتحصيل، فحضر حلقات العلم في مساجد البصرة وأجاد فنون اللغة والنحو إجادة عظيمة، لقنه علم ذلك أعلام المعرفة في عصره، فقد أخذ عن طائفة جليلة من العلماء مثل:

- عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩هـ الذي تلقى منه القراءة والنحو والصرف واللغة.

- وأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ الذي أفاد منه في القراءة وعلوم العربية، لكن أكثر ما نقله عنه على قلته جاءه منه بتوسط غيره

بينهما، فقد كان يقول مثلاً "زعم يونس عن أبي عمرو بن العلاء".

- ويونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢ هـ الذي أفاد منه ونقل عنه في النحو والصرف واللغة، وفي القراءة والتفسير، وفي الرواية عن العرب والشعراء، وفي معاني الشعر.

- وأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ هـ أو سنة ٢١٣ هـ الذي اتهم الأخفش بأن كتابه في معاني القرآن صورة مغيرة لكتاب<sup>(٦)</sup> معمر فيها.

- وأبي زيد الأنصاري البصري المتوفى سنة ٢١٤ هـ أو سنة ٢١٥ هـ، الذي أفاد منه في الصرف وفي لغات العرب، التي كان يروي عنه كثيراً منها.

أما تلمذة الأخفش للخليل المتوفى سنة ١٦٠ هـ أو سنة ١٧٠ هـ، ففي جمهرة المصادر القديمة أن الأخفش لقي من لقيه سيبويه عنهم، والخليل كما هو معروف من هؤلاء، بل هو أهمهم وأكثرهم أثراً في سيبويه. وبعض هذه المصادر ينفي ذلك، قال ابن جني نقلاً عن أستاذه أبي علي "كان الأخفش مع الخليل في بلد واحد فلم يحك عنه حرفاً"<sup>(٧)</sup>. وأغلب الظن عندي أن الأخفش قد تلمذ للخليل مرتين إحداهما مباشرة في العروض والأخرى في النحو بطريق غير مباشر، فقد كان الأخفش شديد العناية بالعروض والنحو معاً، لذلك طلبهما عند أربابهما وأصحاب العلم الواسع فيهما، ولم يكن آنذاك من هو أعلم بهما من الخليل أستاذ سيبويه.

أما العروض فلم يكن ثم من فكر فيه وشغل باختراعه ثم اشتغل به آنذاك سوى الخليل، لهذا لازمه الأخفش لتلقي هذا العلم الجديد على

يديه ، يدل على ذلك ويؤكدده ما أجمعت عليه الروايات من أن عروض الخليل لم يأت إلا من طريق الأخفش ، وأن هذا زاد في العروض فيما بعد بحر الخبب<sup>(٨)</sup> .

وأما النحو فقد كان الميدان في درسه واسعا ، والمشتغلون به كثيرون ، وجلهم متميز قوي متمكن منه ومن اللغة أيضاً ، من هنا طرق الأخفش فيها كل باب ، وجلس إلى جميع المشاهير فيهما في زمانه وسمع منهم وتلمذ لهم ، ويبدو أن انشغاله بالتلقي عن أساتذته الجهابذة في النحو ، واستغراقه في ذلك كل الوقت لم يكن يسمح له بالحضور في حلقة الخليل النحوية وأن اكتفاءه بما يفيد منهم ، لم يكن يجعله حريصاً على غيرهم ، فاكتمى لذلك بأن يقصد حلقة الخليل في دروس العروض التي تفرد بها والتي لم يكن ليجدها عند غيره ليتلقى عنه هذا العلم وحده بشكل مباشر .

أما النحو وغيره من علوم الآلة وكذلك اللغة فقد تلقى ما تلقاه منها عن الخليل من طريقين غير مباشرين ، أحدهما ما كان يسمعه من أساتذته من علم الخليل ، والثاني طريق كتاب سيبويه الذي كان معرضاً لآراء أستاذه الخليل والذي كانت عامة الحكاية فيه عنه .

إن التأمل فيما ذكرته أكثر المصادر وفيما نقله ابن جني عن الفارسي قادي في محاولة التوفيق بينهما بما يجعلهما يسلمان مما يظهر عليهما لأول وهلة من التناقض إلى قول ماقلت ، فأبو علي في أغلب ظني قصد إلى نفي تلقي الأخفش النحو والصرف واللغة - وهي العلوم التي كان أبو علي يهتم بها ويكاد يقصر علمه عليها - عن الخليل على نحو مباشر ، ولم يقصد إلى نفي تلقي العروض - الذي لم يكن معنياً به - عنه على هذا النحو ، أما

الجمهور فقد أطلق القول إطلاقاً وعممه تعميماً، ولكنه لم يحدد أي المدرسين كان من الأخفش على الخليل مباشرة وأيهما كان عن طريق الكتاب وغيره .

ومن أساتذة الأخفش سيبويه المتوفى سنة ١٦١ هـ أو سنة ١٨٨ هـ أو سنة ١٩٤ هـ . وكان الأخفش أحفظ تلاميذه وأعلمهم حتى نعت لذلك بصاحب سيبويه أو صاحب كتاب سيبويه ، وقد روى عن سيبويه كتابه بل كان الطريق الوحيدة إليه إذ لا يعرف أحد سواه قرأه على سيبويه أو قرأه سيبويه عليه ، وقد جعل هذا الصلة بينهما عميقة وأواصر الصداقة منعقدة وملزمة الأخفش لسيبويه مستمرة .

ومن أساتذة الأخفش الذين أخذ عنهم نحواً أو غيره بمقدار أو بآخر أبو الخطاب الأخفش ، وقعب بن أبي قعب المعروف بأبي السمال العدوي البصري القاريء ، وأبو مالك عمرو بن كركرة النميري ، وحاد بن الزبرقان ، وكانا بصريين ، وعلي الجمل وهو نحوي مغمور كان بالمدينة وضع كتاباً في النحو لم يكن شيئاً فذهب ، ومع ذلك فقد قيل إن الأخفش وضع كتابه في النحو<sup>(٩)</sup> منه ، وأبو شمر المعتزلي الذي اكتسب الأخفش منه علماً بالكلام وحذفاً للجدل وتأثر بآرائه الاعتزالية في كتابه " معاني القرآن " مما جعله يؤول آيات الصفات وينفي الرؤية ويؤول آياتها وينحو هذا النحو في غير ذلك من آيات العقيدة في القرآن الكريم .

وقد انفرد السيوطي<sup>(١٠)</sup> بالقول إنه حدث عن الكلبي والنخعي وهشام بن عروة . وكان يكثر من استعمال " بعضهم " ومن عناهم بهذا اللفظ الحسن البصري وبعض أساتذته المعروفين كسيبويه وأبي عمرو بن العلاء .

وكان للأخفش وراء هؤلاء أساتذة آخرون لانعرف عنهم شيئاً لأنه لم يصرح بأسمائهم في كتبه ، وإنما كان يعبر عنهم بضمير الجماعة أو بالمفسرين أو بأهل التأويل أو بالنحويين أو بالجماعة أو بمن أثق به أو بعض أهل العلم ، ولم توضح قرينة من نقوله عنهم أو نحوها ، أو يذكر أحد من مترجميه أو شراحه من عنى بهذه التعبيرات .

أما تلاميذ الأخفش فقد كان الكسائي رأس الكوفيين وأحد القراء المشهورين المتوفي سنة ١٨٩هـ في مقدمتهم بدأت الصلة بينهما بعد المناظرة المشهورة التي جرت بين الكسائي وسيبويه في المسألة الزنبورية ، وحين مر سيبويه بالبصرة مخذولاً عرف الأخفش خبره مع الكسائي ، ثم مضى إلى الأهواز ، فما كان من الأخفش إلا أن تزود وركب سمارية (أي سفينة) توجه بها إلى بغداد ، ثم توجه إلى مسجد الكسائي وجلس في حلقة وكان فيها الفراء وأبو الحسن علي بن المبارك المعروف بالأحمر وهشام ابن معاوية الضرير وابن سعدان من الكوفيين ، وسأله عن مائة مسألة فأجاب الكسائي عنها بجوابات خطأه الأخفش في جميعها حتى أراد أصحاب الكسائي الوثوب عليه فمنعهم وعرفه وقام إليه وعانقه وأجلسه إلى جانبه وطلب إليه أن لا يفارقه فأجابه إلى طلبه حتى إذا ما اتصلت الأيام وتوطدت الصلة بينهما سأله أن يؤلف كتاباً في معاني القرآن فألفه فجعله الكسائي له إماماً وعمل عليه كتاباً في المعاني<sup>(١١)</sup> ، ثم إن الأخفش عاد إلى البصرة وجاء الكسائي إليها وسأله أن يقرأ عليه كتاب سيبويه فأقرأه فوجه إليه الكسائي خمسين ديناراً أو سبعمائة<sup>(١٢)</sup> .

ومن تلاميذه أيضاً هشام بن معاوية الضرير المتوفى سنة ٢٠٩هـ الذي كان بين تلاميذ الكسائي في حلقة في مسجده ببغداد حين جاء

الأخفش إليه .

ومن درس على الأخفش وروى عنه الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥هـ ورفيقه المازني المتوفى سنة ٢٣٦هـ أو سنة ٢٤٧هـ أو سنة ٢٤٩هـ، وقد أخذاه عنه الكتاب<sup>(١٣)</sup>.

ومن تلاميذه أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠هـ أو سنة ٢٥٥هـ الذي روى عنه ودرس عليه كتاب سيبويه مرتين، ومرد علم أبي حاتم بالنحو إنما هو إليه، لكنه اشتهر بأنه كان حسوداً ذماماً فنال أستاذه الأخفش من اتهاماته نصيب، ولعل السبب في تحامل أبي حاتم على الأخفش على الرغم من أن هذا كان أستاذاً له أنه طعن في فهم تلميذه للغة القرآن فرد عليه السجستاني بعنف<sup>(١٤)</sup> ورماه ببعض المثالب وشيء من العيوب.

ومن تلاميذه الرياشي اللغوي المقتول بالبصرة سنة ٢٥٧هـ، وقد تلمذ للأخفش وروى عنه، لكنه قرأ الكتاب على تلميذه المازني<sup>(١٥)</sup>. ومنهم أبو عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني المتوفى سنة ٢٨٨هـ، وقد اشتهرت روايته مسألتين في اللغة عن الأخفش، كما كثرت روايته عنه في كتابه "معاني الشعر"<sup>(١٦)</sup>.

وانفرد أبو الطيب<sup>(١٧)</sup> اللغوي وتابعه السيوطي<sup>(١٨)</sup> بالقول إن من تلاميذ الأخفش أبا العباس الناشيء، ولكن لم تعرف له في كتب النحو مسائل تؤكد ذلك.

وذكروا<sup>(١٩)</sup> أيضاً أن التوزي المتوفى سنة ٢٣٠هـ يعد في تلاميذه، وقد قال التوزي نفسه إنه روى عن الأخفش، ونص ابن دريد على أخذه عنه، كما ذكر أبو حاتم أنه حضر ذات يوم مجلس الأخفش وعنده التوزي،



وأنهما ناقشاه .

أما الزيادي المتوفى سنة ٢٤٩هـ فقد ذكر أنه أفاد من الأخفش في سؤال وجهه إليه عن قولهم " مررت برجلٍ قائم زيد أبوه ، أبوه بدل أم صفة " (٢٠) .

وقد تلمذ قطرب (٢١) المتوفى على المشهور (٢٢) في عام ٢٠٦هـ للأخفش ، لكن أخذه عنه كان قليلاً لا يعدو عدة مسائل (٢٣) .  
ومن تلاميذ الأخفش :

اليزيدي (٢٤) المتوفى سنة ٢٢٥ ، وقد روى عنه كتابه " معاني القرآن " وعرضه عليه . والطوال (٢٤) المتوفى سنة ٢٤٣هـ الذي روى عنه وتابعه في مسائل عديدة . (٢٥) والجاحظ (٢٤) المتوفى سنة ٢٥٥هـ . وقد تحدث في كتبه أكثر من مرة عن الأخفش وعلمه بالشعر ، وعن علاقته بطلابه .  
وقد خلف الأخفش مؤلفات عديدة في فنون متنوعة ، منها في النحو والصرف واللغة : المقاييس ، المسائل الصغيرة ، الاشتقاق ، معاني الشعر ، الأصوات ، لامات القرآن ، التصريف ، الواحد والجمع في القرآن ، البسيط . وهي جميعاً مفقودة .

ووصلنا من مصنفاته أربعة غير تامة هي :  
كتاب " معاني القرآن " الذي ألفه في بغداد بناء على طلب الكسائي .

كتاب " المسائل الكبير " في النحو الذي صنفه في بغداد أيضاً بعد أن سأله هشام الضرير بخاصة عن فروع نحوية ، وبعد أن رأى اهتمام تلاميذه الكوفيين جميعاً بالمسائل المتفرقة في النحو والصرف (٢٦) .

كتاب " الأوسط " في النحو .

كتاب " العروض والقوافي " .

وقد أوردت المصادر نقولاً كثيرة من أكثر كتب الأخفش النحوية واللغوية المفقودة، وذكر بعض المصنفين أسماء بعضها، فقد نقل على سبيل المثال من كتابه "الواحد والجمع في القرآن" في الهمع والمزهر<sup>(٢٧)</sup>، ومن كتابيه "المسائل الصغير" و "البسيط" في الأشباه والنظائر<sup>(٢٨)</sup>، وذكر ابن جني في الخصائص كتابه "المقاييس" <sup>(٢٩)</sup>.

ولقد عاش الأخفش ملء السمع والبصر، فقد صحب سيبويه، وكان أبرع تلاميذه على الإطلاق، أخذ عنه كل ما عنده، وحرص على أن يقرأ عليه الكتاب مدققاً فيه مستفسراً منه عن كل مشكلاته<sup>(٣٠)</sup>، وحين برع التلميذ في النحو ناظر أستاذه كما أن الأستاذ إدراكاً منه لما آل إليه الأخفش من سعة العلم عرض عليه أشياء لاعتقاده أنه أعلم منه الآن بعد أن كان سيبويه أعلم<sup>(٣١)</sup>، وقد زاد تبجيل سيبويه له من تواضعه لأستاذه، فهو القائل له "إنما ناظرتك لأستفيد لا لغيره" <sup>(٣٢)</sup> فيجيبه سيبويه "أتراني أشك في هذا" <sup>(٣٢)</sup>.

هكذا كان الأخفش على علم دقيق بمنهج سيبويه وبمحتويات كتابه، وهكذا كانت ثقة سيبويه بالأخفش وبعمق فهمه عظيمة، فسيبويه أعظم النحاة وإمامهم آنذاك، والأخفش تلميذه في كتابه، ومستشاره في بعض ماوضع فيه، وحامله إلى الناس وحافظه للأجيال بعده، وهو في الوقت نفسه العالم بهفواته التي جرى كثير منها على لسانه بعد وفاة سيبويه أمام طلابه، مما حمل الكسائي الكوفي - وكان أحدهم - على أن يرى أنه لم يكن في البصريين من هو أعلم من الأخفش بالكتاب؛ لأنه الذي نبه على عواره<sup>(٣٣)</sup>.

كذلك كانت مصنفات الأخفش النحوية مصادر اعتمد عليها

العلماء بعده، فكتابه " المسائل الكبير " مثلاً مصنف ضخمة عول عليه ابن السراج النحوي البغدادي المتوفى سنة ٣١٦هـ في كتابه المعروف " الأصول " وأخذت أيضاً كتب النحو المعتمدة نقولاً كثيرة منه (٣٤).

لكل هذا كان من الطبيعي أن يتعرض الأخفش من معاصريه أو غيرهم لما يتعرض له الأعلام من الأعلام في المعتاد، فوجهت إليه من بعضهم سهام الطعن، ونسبت إلى صياغاته في مؤلفاته المثالب؛ فقد قيل فيه مثلاً: إنه كان يتزبد في حب المال، وإن آية ذلك حرصه على أن لا يقرىء كتاب سيبويه للكسائي والجرمي والمازني إلا بالأجر الوفير، وإنه كان يبههم في كتبه ويغمض في أساليبها حتى ضج من ذلك الكبار كالجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ الذي ناقش الأخفش في سبب جعل كتبه في النحو غير مفهومة (٣٥)، ولامه على ذلك لوماً شديداً ودعاه إلى تبسيطها، وقد أجابه الأخفش قائلاً " أنا رجل لم أضع كتبتي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه - يقصد الوضع السهل - قلّت حاجاتهم إلي فيها، وإنما كانت غايتي المنالة . . . وإنما قد كسبت في هذا التدبير، إذ كنت إلى التكسب ذهبت " (٣٦). وكثعلب الكوفي المتوفى سنة ٢٩١هـ الذي قال لابن الخياط النحوي البغدادي المتوفى سنة ٣٢٠هـ عن كتاب الأخفش: " المسائل الكبير " في النحو " ويحك صاحبك هذا مجنون يتكلم بما لا يفهم " (٣٧) فأجابه: " هذا رجل أشرف على بحر فهو يتكلم منه بما يريد " (٣٧).

ولقد حملت صعوبة كتبه وتعقيد أساليبها المصنفين على الاهتمام البالغ بمعالجة ما فيها من العورة والحرص على إبانة مقصودها، فكتاب " الأوسط " مثلاً جعل المبرد البصري المتوفى سنة ٢٨٥هـ يحرص على

إيضاحه لأهميته، فصنع عليه كتاباً سماه "معنى كتاب الأوسط للأخفش" وكأني بمبرمان النحوي البغدادي المتوفى سنة ٣٢٦هـ قد رأى أن هذا الكتاب المهم الذي يظهر آخر ما استقر عليه الأخفش من الآراء - لأنه الكتاب الذي عاد فيه إلى موافقة سيبويه في عدد من أقواله التي كان خالفه فيها من قبل والذي نص فيه على أن ما عاد إليه هو آخر قوله<sup>(٣٨)</sup> - مازال يحيط به الغموض، وأن شرح أستاذه المبرد لم يكن كافياً ولا شافياً في الكشف عن مكنوناته، فانصرف بدوره إلى شرحه مرة أخرى وإلى تجليته في صورة واضحة لا لبس فيها ولا التواء.

وقد تحامل عليه أيضاً أبو حاتم السجستاني فنسب إليه أنه وضع كتابه في النحو من كتاب علي الجمل نحوي المدينة المغمور، وإنه أخذ كتاب أبي عبيدة في معاني القرآن وادعاه لنفسه بعد أن غير فيه وبدل، وأنه كان محتج بشعر بشار المتوفى سنة ١٦٧هـ في كتبه لا لشيء إلا ليدراً عنه شراً لسانه<sup>(٣٩)</sup>.

ومما يشكك في أن يكون احتجاج الأخفش بشعر بشار حقيقة وحقا مقطوعاً بهما: أن غير أبي حاتم قد روى أن الاحتجاج بشعر بشار إنما كان من سيبويه<sup>(٤٠)</sup> لا من الأخفش، ثم إن هذا الشك قد تحول عندنا إلى ما يشبه اليقين حين رأينا أن الأخفش قد توفي سنة ٢١١هـ أو سنة ٢١٤هـ ولا يعقل أن يكون احتجاجه بشعر بشار مخافة لسانه وبين سنتي وفاتها نصف قرن من الزمان تقريباً.

أما مازعمه أبو حاتم من أن الأخفش وضع كتابه في النحو من كتاب علي الجمل فإنه يبدو لي أن أبا حاتم انتهز إحدى الفرص ليرمي الأخفش بهذا، فقد رأى الأخفش يقول في كتابه "الزيت رطلان بدرهم"

في حين كان الزيت لا يذكر في البصرة لأنه ليس بإدام أهلها ، فأسرع أبو حاتم إلى اتهامه بالنقل الحرفي - عن علي الجمل وهو النحوي الضعيف وعن كتابه في النحو الذي لم يكن شيئاً فذهب - حتى للأمثلة التي لا تستعمل في بيئة الأخفش وأبي حاتم البصرية<sup>(٤١)</sup>.

أما أن الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في معاني القرآن وادعاه لنفسه بعد أن غير فيه وبدل على حد قول أبي حاتم فأحسن جواب على هذا ماروي من أن أبا حاتم قال للأخفش حين رأى كتابه في معاني القرآن : أي شيء هذا الذي تصنع ؟ من أعرف بالغريب ؟ أنت أو أبو عبيدة ؟ فأجابه : أبو عبيدة ، فقال له السجستاني : هذا الذي تصنع ليس بشيء ، فأجاب الأخفش : الكتاب لمن أصلحه وليس لمن أفسده<sup>(٤٢)</sup>.

وينبغي لنا مع هذا كله أن نتحفظ في قبول ما وجهه أبو حاتم على وجه الخصوص إلى أمانة الأخفش العلمية من المطاعن ، وأن لا ننظر إليه بمعزل عما يمكنه أبو حاتم في نفسه للأخفش من التحامل والضعينة لسبب شخصي هو ما رماه به من سوء فهمه لمعاني القرآن ، بالإضافة إلى أن أبا حاتم نفسه كان بطبيعته طعانا حقوداً كثير الافتراء للمثالب والعيوب يرمي بها غيره بالحق والباطل .

ولا يصح أيضاً في النظر السليم أن يقبل ما زعم من محاولة الأخفش ادعاء كتاب سيبويه استناداً إلى ما كان بينهما من صلة شخصية وثيقة وعلاقة علمية عميقة ، فقد جاء هذا الاتهام في قصة غريبة ذكرتها بعض الروايات ، وفحوى هذه القصة أن كتاب سيبويه آل إلى الأخفش بعد موت صاحبه وربما في حياته ، وأن الأخفش أخذ يقصد بعد سيبويه

لقراءته عليه ؛ لأنه كان أعلم الناس به وأكثرهم اطلاعا عليه ، كما اشتهر عنه استحسانه له ورأيه بأنه لا نظير له في حسنه وصحته وجمعه لأصول النحو وفروعه ، وقد علم بهذا الجرمي والمازني فيمن علم فخشيا أن ينتحلّه ، واتفقا على أن السبيل إلى إظهاره ومنع الأخفش من ادعائه هو قراءته عليه بالأجرة ، فأرغباه بها مجزية ، فقبل ، وشرعا في ذلك وأخذوا الكتاب عنه ومن ثم أعلنّا أنه لسيبويه وأشاعا ذلك (٤٣).

إن هذا الزعم لم يثبت على وجه القطع وإن ثبتت قراءة الجرمي والمازني الكتاب على الأخفش ، ذلك أنه كان من الممكن أن يكون حب الأخفش للمال ورغبته فيه وميله للاستكثار منه سبباً يحمله على أن يضمن بإقراء كتاب سيبويه لمن يرغب في ذلك من الطلاب إلا بأجر كبير وداعياً له على أن يخفيه حتى يحمل الراغبين فيه على الانصياع لرغبته في هذا الأجر ولاسيما أنه وحده المالك للنسخة الوحيدة منه ، فإنه ليس من الضروري في حكم العقل أن يكون ذلك سبباً قطعياً نتهمه من أجله بمحاولة انتحال الكتاب ، إذ لارابط بين الأمرين على وجه لازب . إن هذا الاتهام الذي لم تجمع عليه الروايات ولم يردده أكثرها ملفق في غلبة الظن وهو إن كان صدر من الجرمي والمازني فإنه لا يخلو أن يكون مسبباً من الحسد الطبيعي الذي لا يستغرب بين كبار العلماء أو أن مبعثه سبب أو آخر من الأسباب الشخصية .

وأيا ما كان الداعي فإن مرد الأمر كله إنما هو بدون شك إلى ما كان عليه الأخفش من منزلة عليا وما اتصف به من اقتدار وتفوق ونبوغ في درس اللغة والنحو مما أنفس معاصريه وغيرهم وأوجدتهم وأحفظهم عليه .

وفي ظني أن حرص الأخفش على المال واتخاذهِ الوسيلة للحصول عليه عن طريق إغماض المعاني وإيهام المباني حتى يحتاج إليه في إدراك المقاصد فيعمد إلى التعلم بالأجر الذي يريد - إنما كان منه لكي لا يصير إلى ما صار إليه الخليل ، وقد عرف أنه عاش فقيراً في خص من خصاص البصرة لا يشعر به أحد وأصحابه يكسبون بعلمه وكتبه الأموال (٤٤)، أو إلى ما صار إليه سيبويه الذي لم يسعفه الحظ في الوصول إلى الثروة والجاه في حياته كما انتهى ، وليصبح في وصوله إلى مراده منهما كالكسائي والفراء فيهيء لنفسه العيش الكريم والمنزلة اللائقة مثلها .

ويؤكد هذا المعنى ما هو معروف من قصة الأخفش مع الكسائي ، حين ذهب الأخفش من البصرة إلى بغداد ؛ ليشأر لأستاذه سيبويه من خصمه الكسائي ، الذي هزمه بغير وجه حق ، في المناظرة الشهيرة في المسألة الزنبورية في دار الرشيد بحضرته وحضرة وزيره وعلية القوم معهم ، ولم يكن سيبويه نفسه ليذهب إلى بغداد لينظر الكسائي شيخ الكوفيين إلا طمعاً في مثل ما رآه عليه من قرب للخلفاء والأمراء والوزراء ونحوهم ، وإلا رغبة فيما يؤدي إليه هذا في العادة من نعيم ورفاهية فارهة ونفوذ علمي كان الكسائي ورؤساء النحاة الكوفيين يتمتعون بها جميعاً ، كذلك لم يكن تلميذه الأخفش - وهو البصري الأصيل كأستاذه - ليتحول بعد وصوله بغداد ولقائه بالكسائي وترحيب هذا به من العدا له بخاصة والخلاف مع الكوفيين بعامة إلى نقيض ذلك تماماً لولا ميله إلى مثل ما مال إليه سيبويه من قبل ورغبته فيما رغب فيه ، وقد تحقق له على كل حال ما لم يتحقق لأستاذه ، فعاشر العظماء في بغداد وعاش مع الكبراء ، واختلط بهم ، وعلم أولادهم ، وأقام المناظرات في مجالسهم ، وأفاد منهم مالا

وجاهاً، كما استفادوا منه وأولادهم علماً ومعرفة، كذلك مزج نحاة الكوفة المقيمين في بغداد وخالطهم وأقرأ شيخهم الكسائي كتاب سيبويه سرّاً، وانتهى به الأمر إلى الاتفاق فيما بعد معهم في شطر كبير من آرائهم ومذاهبهم، وإلى الاختلاف مع قومه وأهله من البصريين اختلافاً نجده ماثلاً في طائفة كثيرة من المسائل النحوية المثبوتة في الأمهات وغيرها.

هذا هو الأخفش وهذه هي صورته العلمية ومنزلته العقلية عرضناها فيما سبق من مناقشات، ومن خلال ما أوردناه أيضاً في ترجمته من أخبار ومعلومات، وهي جميعاً تلقي عليه الضوء ساطعاً، وتعد مدخلاً حسناً للشروع في درس نحوه درسا على مقدار من التفصيل يناسب طبيعة مثل هذا البحث، لتتمكن من أن نتبين في خاتمة المطاف حقيقة وضعه بين النحاة، ولنعرف درجته في الفن، ولنجيب بعد ذلك على تساؤل مفاده: هل كان الأخفش نحوياً كبيراً يسير على وتيرة نظرائه من الكبار فحسب، أم أنه حاول التجديد وأراد أن يشق طريقاً مستقلاً متميزاً خاصاً به، أم أنه كان بين بين، يقلد تارة ويجدد أو يحاول التجديد تارة أخرى؟.

دراسات الأخفش النحوية:

أ) تمهيد:

مازال الأخفش في نظرنا - على الرغم من وجود بعض الدراسات المستقلة عنه وعن نحوه - محتاجاً إلى تجلية موقفه، من خلال تمحيص ماجرت به أقلام الباحثين ودار في أبحاثهم ودراساتهم عنه، وكذلك من خلال معاودة درس فروعه ومناقشة آرائه وتقويم دراساته لاجتلاء حقيقة اتجاهاته، وللكشف عن قدراته ومن ثم بيان منزلته ووضعه في



موضعه الصحيح من تاريخ النحو والنحاة، وذلك على نحو جديد يظهر معه وجه الحق على ما ينبغي له من الوضوح والإنصاف .

وهناك حقيقتان لا بد بادىء ذي بدء من التذكير بهما :

أولاهما : ما تقرر في الأذهان واستقر في الأفهام وأفاض الباحثون في بيانه من أن العربية لغة خصبة تمتاز بتنوع لهجاتها وتعدد لغاتها ، وأنها ثرية بمنظومها غنية بمتنورها ، ثرة بأفانين القول وبديع المعاني فيها ، تجد فيها الشعر الرائع والشر الرفيع والحكمة الفائقة والمثل الدقيق ، وأن القرآن الذي نزل بهذه اللغة يتميز بوفرة قراءاته وتنوع درجات هذه القراءات ، وبأنه سنام الفصاحة وذروة البلاغة .

والثانية : ما هو معروف من أن موقف نحاة البصرة ونحاة الكوفة في دراساتهم النحوية لم يكن واحداً ، بل كان متمايزاً ومتفاوتاً ، وأن كلا من الفريقين على وجه العموم وبعض مشاهير النحاة وأعلامهم من كل فريق على وجه الخصوص - قد اتخذوا مواقف مختلفة ومستقلة من الموروثات اللغوية والتزموا أطراً خاصة بفرقهم أو بأنفسهم . وقد أكثر الدارسون من بيان هذا كله إلى جانب إسهامهم في إيضاح الأسس العامة التي التقى عليها جمهور الفريقين ، وهم لا يخرجون عن القول بأن موقف النحاة البصريين من الأخذ بأصول الاحتجاج في النحو كان متشدداً في حين كان موقف الكوفيين متساهلاً .

ولقد أصبح هذا القول مستقراً في الأذهان متداولاً على الألسنة مسجلاً في الكتب . والحق أن هذه القسمة الضيزى التي أرادوا لها أن تكون قاطعة صائبة دقيقة شاملة - ليست كذلك ؛ لأن طبيعة الاتجاهات العلمية العامة تنفر من مثل هذا التحديد الصارم والتقسيم الحاسم الذي

يراد له أن يلبس لباس القانون الجازم الذي لا يند عنه مخالف ولا يشذ عن إطاره فرد واحد .

ونحن إذا أمعنا النظر في هذا التقسيم بشكل موضوعي وأدرنا فيه النظر الفاحص ، وأمعنا في تحليله وتقليبه وطبقناه على أرض الواقع نجد أنه ليس دقيقاً ، بل ليس صواباً ، لما فيه من تعميم يوقع الباحثين في الخلط أو الخطأ .

والحق أن كل إمام من أئمة المدرستين كان له اتجاه عام في دراساته النحوية يوافق فيه أهل مدرسته من أكثر الوجوه ، ولكنه في الوقت نفسه كان يخالفهم أو يتفرد من بينهم في وجوه أخرى خاصة وفي مواقف ومسائل بأعيانها ، ولولا هذا لما كان إماماً ولما استحق هذا اللقب ، فالأمر عند كل واحد من هؤلاء لا يقتصر على التقليد المطلق لأهل بلده فقط ولا على الاجتهاد المتفرد الذي يسلخه دائماً عن الطابع العام لمدرسته التي ينتسب إليها ، وإنما هو مزيج من هذا وذاك فهو تارة مقلد وأخرى متفرد . والتمايز بين هؤلاء الأعلام إنما يكون بكثرة التقليد وغلبته على التجديد عند أحدهم ، فيسلك لذلك في المقلدين ، أو بظهور التجديد ظهوراً بيناً متميزاً في طائفة حسنة من مسائله ، فيسلك لذلك في المجددين ، أو بمراوحتة بين هذا الموقف وقسيمه فيكون في هذا الفريق باعتبار وفي الآخر باعتبار مخالف .

ونحن نجد في كتب النحو وأبحاثه أمثلة كثيرة لهذا ، فسيبويه إمام البصريين مثلاً كانت له آراء خالف فيها أشياخه ، والفراء شيخ مدرسة الكوفة كان له مذهب انحرف فيه عن مذهب الكسائي شيخ الكوفيين قبله في غير ما موطن ، ولنحوينا الأخفش الأوسط آراء خالف فيها أستاذه

سيبويه بل ربما نقضها وأخرى خالف فيها سائر البصريين ، كما أنه أخذ في بعض الأحيان ببعض رأي سيبويه في المسألة الواحدة ورفض بعضه ، وروي له في بعض المسائل قولان تابع سيبويه في أحدهما وخالفه في الآخر ، وله أيضاً مواقف عاد فيها إلى موافقة سيبويه في عدد من الآراء ، كان خالفه فيها من قبل ، وذكر أن ما عاد إليه هو آخر قوله (٤٥) ، كذلك كانت له مذاهب وآراء كثيرة اتفق فيها مع الكوفيين ، مما يسمح بأن يعد واحداً من فتحوا أبواب الدرس النحوي أمامهم في وقت مبكر ومهدوا لهم طريقه حتى أصبح له طابعه الخاص الذي عرف به فيما بعد .

إن فضل الأخفش على نحو الكوفيين واضح ، فقد صنف لهم كتاب " المسائل الكبير " في النحو بعد أن سألته هشام بن معاوية الضرير الكوفي عن مسائل عملها وفروع فرعها ، وبعد أن رأى أيضاً اهتمام تلاميذه الكوفيين جميعاً بالمسائل المتفرقة في النحو والصرف واعتمادهم عليها فلم يعرفوا أكثر مما أورده الأخفش لهم (٤٦) في هذا الكتاب .

ولقد كان لإقراء الأخفش (٤٧) الكسائي الكوفي كتاب سيبويه أثر في العلاقة العلمية بين الرجلين ، فقد تقوت هذه العلاقة بذلك واتصلت ، ومن ثم أثرت في نحو الكسائي أولاً ، وفي نحو الأخفش أيضاً ، فكان التأثير بذلك متبادلاً بين الأستاذ وتلميذه . كذلك ظهر تأثير الأخفش في تلميذه الفراء الكوفي ظهوراً واضحاً في كتاب " معاني القرآن " الذي عمله الفراء على كتاب الأخفش وكتاب الكسائي (٤٨) فيها .

وهكذا كان شأن سائر الأئمة في الدرس النحوي واللغوي على مر الأيام والعصور . ولنلق الآن نظرة فاحصة على مسائل الأخفش وآرائه ومواقفه ، وهي مبثوثة في كتب النحو ، وأكثر من أن تحصى ، وسنختار في

دراستنا الآتية نماذج لكل ما أسلفنا القول فيه في هذا التمهيد، وسوف نعرض من خلال هذه النماذج مواقف الأخفش من القراءات القرآنية، ومن لغات العرب، ومن أصول النحو وفروعه، لنرى ما إذا كان يعد في المقلدين فحسب، أو في المجددين وحدهم، أو أنه كان بين هؤلاء وهؤلاء يجدد تارة ويقلد غالباً، أو يفعل عكس ذلك.

(ب) القراءات القرآنية وموقف البصريين والكوفيين بعامة منها :

مما عيب به البصريون الإسراف في التأويل والتقدير في آيات القرآن التي تخالف أقيستهم وقواعدهم في حين رغب الكوفيون عن هذا إلا في الضرورة.

وفي ظني أن البصريين، وكذلك الكوفيون الذين فعلوا ذلك، إنما فعلوه جميعاً لغرض طبعي هو محاولة إقامة التناسب وإزالة التنافر بين النص وقانونهم النحوي، ولا يلزم أن يكون ذلك لخطأ النص وفساده بل هو إظهاره عن طريق التأويل والتقدير لما في حقيقة هذا النص من التطابق مع قانونه خلافاً للتناقض الظاهر بينهما، فيصح النص وكذلك القاعدة ويزول ما يبدو بينهما من تناقض غير حقيقي ويظهر الانسجام بين ما أولوه ووجهوه وقدروه وبين ما قعدوه وقننوه، وفي التمثيل لذلك نذكر قول البصريين: إن الجملة الاسمية إذا وقعت جواباً للشرط وجب ربطها بالفاء وقد تنوب عنها إذا الفجائية، ولما عورضت قاعدتهم هذه بقوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾<sup>(٤٩)</sup> أولوا الشاهد في الآية وقالوا إن "إذا" فيها ليست شرطية وإنما هي ظرف زمان لخبر المبتدأ بعدها، لأنها لو كانت شرطية هنا لوجب اقتران جوابها بالفاء<sup>(٥٠)</sup>.

ولما عورضوا أيضاً بقوله تعالى ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين﴾<sup>(٥١)</sup>

وفيها جواب الشرط جملة اسمية غير مقترنة بالفاء أو بإذا الفجائية وكان من غير الممكن القول بأن "إن" غير شرطية لأن "إن" غير "إذا" - ذهبوا بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف وهو مقترن بالفاء وفاقا لقاعدتهم ، وأن التقدير "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الوصية للوالدين إن ترك خيراً فليوص" (٥٢).

ونسوق في التمثيل لذلك أيضاً قوله تعالى ﴿إِنْ أَمْرٌ هَلْكَ﴾ (٥٣) الذي خرج سيبويه وجمهور البصريين على تقدير فعل محذوف مماثل للفعل المذكور؛ لأن قاعدتهم لا تجيز دخول إن الشرطية على اسم ، في حين أعرب القراء وجمهور الكوفيين الذين يميزون تقديم الفاعل الاسم الظاهر على فعله - "امرؤ" فاعلاً متقدماً لفعل الشرط المؤخر المذكور، وأعرب الأخفش البصري "امرؤ" مبتدأ وما بعده خبراً والجملة الاسمية<sup>(٥٤)</sup> شرطاً لإن ، فمجيء شرط إن جملة اسمية من قواعد المقررة .  
ومع أن إعراب الأخفش ثم إعراب الكوفيين أوضح وأسلم من إعراب جمهور البصريين وإمامهم ؛ لأن ما لا يحتاج إلى تقدير خير مما يحتاج إليه كما يقال - فإن ذلك لا يعني أن إعراب البصريين خطأ ، كما لا يعني أن مبعث ما فعلوه هو أن نص الآية كما هو غير مستقيم يحتاج إلى تأويل وتقدير لإقامته .

والأوجه في هذه الآية ونحوها أن ينبنى ترجيح أحد الإعرابين على قسمه على المفاضلة بينهما باعتبار أن الأفضل والمفضول صحيحان ، وأن الأولى لا يقتضي بطلان غير الأولى ، ومن ثم لا يسوغ القول إن تقدير سيبويه ومن تابعه وتوجيههم للآية هو تخطئة لها أو التواء بها لتسجم مع القاعدة النحوية لمجرد التمسك بالصنعة وحدها أو التحمل في تطبيق قواعدها .

ولقد رمي البصريون أيضا بأنهم - خلافا للكوفيين - لم يستفيدوا في تقرير قواعد النحو وتحرير مسائله من جميع القراءات القرآنية التي تتمثل فيها أفصح لغات العرب حتى إن شذت ، مع أن هذه القراءات في كل الأحوال أقوى بكثير من سائر المرويات التي احتجوا بها والتي ليست بقرآن ، ومع أن القرآن نفسه بصرف النظر عن قراءاته يعد - كما لا يخفى - الينبوع الأعظم والبرهان الأقوم في مبانيه ومعانيه على حد سواء .

وقد استدل الرامون على ما قالوا بمواقف النحاة البصريين في كثير من المسائل النحوية ، ومن هذه المسائل على سبيل المثال :

قول البصريين تبدل الهمزة من حرف المد الزائد الواقع بعد ألف فعائل أو مفاعل نحو عجائز وصحائف ، والأصل عجاوز وصحافيف ؛ لأن مفردة عجوز وصحيفة ، ولا تبدل منه إذا كان أصليا مثل معايب جمع عيب ومعاون جمع عون فلا يقال فيهما معائب<sup>(٥٥)</sup> ومعائن .

ولما أوردت عليهم قراءة نافع " لکم فیہا معائش " <sup>(٥٦)</sup> قالوا إنها ضعيفة في القياس<sup>(٥٥)</sup> ، على الرغم من أن نافعا من القراء السبعة وقد روى قراءته العديد من الثقات .

وقول بعضهم لا يجوز تسكين لام الطلب بعد ثم إلا في ضرورة<sup>(٥٧)</sup> الشعر مع أن جمهور السبعة قرأ قوله تعالى " ثم ليقطع " <sup>(٥٨)</sup> ، وقرأ حمزة والكسائي من السبعة وغيرهما قوله تعالى ﴿ ثم ليقضوا ﴾ <sup>(٥٩)</sup> بالسكون ، وليس في الآيتين ضرورة شعرية .

وقول طائفة منهم لا يجوز صوغ اسم التفضيل من أفعل الرباعي إلا شذوذاً<sup>(٦٠)</sup> وحين أورد عليه قوله تعالى ﴿ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة ﴾ <sup>(٦١)</sup> وفيه أقسط وأقوم المصوغان من أقسط وأقام الرباعيين ،

قالوا إن أقسط مصوغة من قسط الثلاثي بصرف النظر عن أن معنى قسط هو جار ولم يعدل وأن هذا نقيض المعنى المراد في الآية، وقالوا إن أقوم صحيحة فصيحة ولكن هذا لا يمنع من الحكم بشذوذها هنا حتى لو كانت في القرآن.

ويبدو أن البصريين - كما يظهر من هذه النماذج الثلاثة التي ذكرناها ومن نحوها لم يستقصوا وجوه قراءات القرآن على ما ينبغي قبل أن يقرروا قواعدهم ويحرروا ضوابطهم، مما جعلهم يعمدون إلى مثل ما رأينا من الأحكام، حين رأوا قواعدهم تقصر عن شمول بعض القراءات المعند بها.

إن ما سبق حمل مخالفتي البصريين وأخصاصهم على أن يعيوا عليهم شدة حفاظهم على قواعدهم، وتمسكهم بها كما وضعت، وركوبهم متن الشطط في جعلها أهم من قبول المسموع والاقرار به كما هو، وتخطئتهم ما يعجزون عن تأويله من الشواهد المختلفة، وحملهم أيضا على أن يرموهم بالمبالغة في التكلف لكي لا تنتقض هذه القواعد بشاهد حتى لو كان من القرآن الكريم، ودفعهم كذلك إلى أن يستنكروا زعم بعض البصريين أن القراءات المخالفة لقوانينهم إن لم تكن ظنا فهي تخليط ربما تولد من خطأ كتاب المصاحف في الرسم، وأن القرآن يجب أن يستمد قراءاته من قواعدهم، مع أن الواجب هو أن يستمدوا قواعدهم من الكتاب العزيز وأن يدينوا له بالإذعان؛ لأنه أفصح كلام عرفه اللسان العربي المبين.

على أن كتب النحو والقراءات القديمة والحديثة قد تضمنت ردوداً مستفيضة على هذه الاتهامات التي وجهت إلى البصريين ودفاعا حسنا عن مسلك جمهورهم، ويمكن أن أضيف إلى هذه الردود أن ما نسب

إليهم حتى لو صح بعضه وكان حقا في طرف من الشواهد والآيات فإنه ليس موقفا مستمرا على الدوام لا يفارقهم أجمعين ولا يفارقونه في جميع أحوالهم، فقد رأينا لبعض أئمة البصريين كسيبويه والأخفش مواقف من القراءات - وغيرها - تتسم بالاعتدال والحرص على الاستفادة منها أيا كانت درجتها وعدم إهدار واحدة منها، فهما - وقد حذا حذوهما أيضا كثير من البصريين - قد أكثرا من الاحتجاج بالقراءات القرآنية في كتبهما، كما كثر عندهما توجيه ما لا يجري من القراءات على مقاييس قومهما وقوانينهم توجيهها رفقا لا قسر فيه أو عنتاً أو غلواً ولا تنافر فيه أو إخلالا أو إبعادا.

ولا يغض من هذا ما حدث أحيانا منهما أو من غيرهما من نحاة مدينتهما، فهو قليل من كثير، لا يغير من حقيقة الحكم عليهما وصوابه فيهما وفيمن تشبه في مسلكه بهما من سائر البصريين. صحيح أن سيبويه قد أطلق على بعض القراءات أوصاف القبح أو الرداءة أو الضعف أو الشذوذ<sup>(٦٢)</sup> حتى ليظن أنه قد خطأها لذلك، لكن هذا - فيما أرى - لا يعني بالضرورة أن تكون هذه القراءات خطأ أي غلطا، فهذه الأوصاف في حقيقة الأمر شيء، والخطأ بمعنى الغلط شيء آخر، والقراءة المتصفة بواحد من هذه الأوصاف تعد صحيحة، ويقال في المعتاد للصحيح الكثير مطرد، في حين يطلق الشاذ على الصحيح القليل أو النادر، وكلاهما فصيح مقبول، وإنما يقاس على المطرد منهما ويحفظ الشاذ ولا يقاس عليه.

ولقد حدث أيضا أن بعض الكوفيين - الذين ينسب إليهم في العادة الانسجام الدائم مع كل القراءات والقبول الكامل بها كما هي



وإقامة قواعدهم عليها - وقف عند بعض الحروف فقدر وأول ما لا يلزم تقديره وتأويله في الحقيقة، ومن هؤلاء الكسائي، فهو مثلاً حين رأى المضارع محذوف النون في قوله تعالى ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾<sup>(٦٣)</sup> قال إنها حذفت على تقدير لام الأمر، ورتب على ذلك قاعدة نحوية عامة هي حذف لام الأمر من الفعل المضارع بشرط تقديم الفعل «قل» عليه، بينما رأى البصريون - ورأيهم أيسر - أن الفعل المضارع يجزم في جواب الأمر ترتيباً على الآية ونحوها من قولنا «أنتني أكرمك» دون تأويل أو تقدير<sup>(٦٤)</sup>.

ولقد كان الكسائي أيضاً من أوائل من خطأوا القراءة ومنعوا القراءة ببعض الحروف، من ذلك أنه لم يجز قراءة جمهور السبعة الفعل «يكون» في قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾<sup>(٦٥)</sup> بالرفع على جعل الكلام مكتفياً بقوله تعالى ﴿أن يقول له كن﴾ ثم قال ﴿فيكون﴾ أي فيكون ما أراد الله على الاستئناف أو عطف الجمل، ورأى أن الصواب هو نصب على عطف ﴿فيكون﴾ عطف نسق على الفعل المنصوب بـ «أن» وهو «يقول»<sup>(٦٦)</sup>، وهو ما قرأ به ابن عامر من السبعة.

وقد حذا الفراء حذو أستاذه الكسائي فأنكر عدداً من القراءات وخطأ قراءها، فقد اعترض مثلاً على قراءة عاصم - من السبعة - والأعمش لكلمة «يؤده» بسكون الهاء في قوله تعالى ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾<sup>(٦٧)</sup> وقال إن الجزم ليس في الهاء وإنما هو فيما قبلها، وإن ما حدث من عاصم ومن شاكلة من القراء خطأ أو توهم<sup>(٦٨)</sup>.

وقد صحح الفراء في بعض الأحيان ما خطأه الكسائي من

القراءات، قال مثلاً: قرأ الكسائي وابن عامر من السبعة «يكون» في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلٌ لَّشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٦٩)</sup> - بالنصب؛ لأنها مردودة؛ أي معطوفة على فعل قد نصب بـ «أن» وهو «نقول» وأكثر القراء على الرفع، والرفع صواب، وذلك أن تجعل الكلام مكتفياً عند قوله تعالى «إذا أردناه أن نقول له كن» فقد تم الكلام، ثم قال «فسيكون ما أراد الله»، وإنه لأحب الوجهين إلي، وإن كان الكسائي لا يميز الرفع في الآية ويذهب إلى النسق<sup>(٦٦)</sup>.

كذلك اتفق أئمة البصريين والكوفيين أحياناً على موقف واحد دون خلاف، فعلوا هذا مثلاً في قراءة أبي جعفر «ليجزى قوما بما كانوا يكسبون»<sup>(٧٠)</sup> ببناء الفعل «ليجزى» للمجهول، وهي قراءة شاذة، ومع ذلك أخذ بها الكوفيون وكذلك الأخفش البصري وأقاموا عليها قاعدتهم القاضية بجواز إنابة غير المفعول به مع وجوده عن الفاعل وطردها، ولم يخطئ سيبويه والبصريون أيضاً هذه القراءة الشاذة لكنهم ذهبوا إلى أن الاستدلال بها إنما يتم على أن نائب الفاعل هو ضمير مستتر يعود إلى مصدر الفعل المبني للمجهول وهو الجزاء وليس الجار والمجرور، كما قال بذلك الأخفش والكوفيين، أو على أن الجار والمجرور هو نائب الفاعل كما قال هؤلاء، لكن على وجه الاستثناء لأن هذه القراءة تعد عندهم مقبولة كما هي مقبولة عند الأخفش والكوفيين، فلا يسعهم رفضها، لكنهم يحفظونها فلا يقيسون عليها لشذوذها وهي في ذلك تشبه عندهم ما يكون في ضرورات الشعر، في حين يقيس عليها الفريق الآخر مع عدم تواترها ولا يحملها محمل الضرورة<sup>(٧١)</sup>.

وهذا على كل حال اختلاف بين الكوفيين والأخفش وبين جمهور

البصريين في التوجيه لا في القراءة .

وهكذا يتضح من كل ما سقناه : أنه لم يكن لكل واحدة من المدرستين على حدة ، ولا لأحد من رؤسائهما وأعلامهما على التعيين - خط واحد ثابت في ذلك الوقت المبكر في موضوع القراءات لا يحدد عنه ولا يخالفه .

وأن القراءات التي وقف عندها النحاة بصريين كانوا أو كوفيين واستشكلوها هي في حقيقة الأمر قليلة إذا قيست بمجموع القراءات ، وهي لا تعدو أن تكون حروفا معدودة لا يصح من أجلها أن يعمم الحكم بأن فريقا كان يخطئ القراءات وفريقا آخر يقبلها . والأليق أن يلتمس لهم جميعا العذر فيما فعلوا فيقال : إن من وقف منهم عند قراءة إنما وقف رغبة منه في التحري الدقيق للفظ القرآن ونطقه .

وقد سار أيضا على نهج الرعيل الأول من البصريين والكوفيين كسيبويه والأخفش والكسائي والفراء واقتدى بهم في مواقفهم المتنوعة من القراءات من بعدهم من النحاة في المدارس المتعاقبة ، ففعلوا مثل ما فعل هؤلاء ، اعترضوا تارة على بعض القراءات وتشددوا في حملها على الانسجام مع قواعدهم ، وتوسعوا تارة أخرى في الاحتجاج بها وفي اتخاذها على إطلاقها مصادر لقواعدهم دون النظر إلى درجتها ، واتفقوا فيها تارة ثالثة على آراء متطابقة لا فرق بينها .

(ج) موقف الأخفش من القراءات :

لم يخرج الأخفش عن الإطار العام الذي التزم البصريون والكوفيون على حد سواء في موضوع القراءات ، والتزم به كما التزموا ، وعد القراءات

كما عدوها أساسا قويا من الأسس التي تبنى عليها قواعد النحو وقوانينه، شريطة أن تكون كل قراءة مهما كانت درجتها مطابقة لإحدى لغات العرب حتى لو كانت هذه اللغة أقل فصاحة من غيرها، فإذا جاءت قراءة ما غير مطابقة لأية لغة من لغاتهم فهي<sup>(٧٢)</sup> مرفوضة، لذلك قبل الأخفش جميع القراءات التي تطابقت مع لغات العرب وعدوها تراثا لا يمكن رده، من ذلك:

قراءة الجمهور «يَرشُدون»<sup>(٧٣)</sup> بفتح الياء وضم الشين وماضيه رشد بفتح الشين، وقراءة آخرين «يَرشُدون» بفتح الياء والشين، وماضيه رشد بكسر الشين، وقراءة غيرهم «يُرشُدون» بضم الياء وكسر الشين، وماضيه أرشد، وهي جميعا لغات<sup>(٧٤)</sup>.

قراءة بعضهم «الوقود» بفتح الواو بمعنى الخطب، وقراءة آخرين الوقود<sup>(٧٥)</sup> بضمها بمعنى المصدر وهو التوقد. قال الأخفش: الوقود بفتح الواو: الخطب والوقود بضمها الفعل، وقال أيضا: حكي أن بعض العرب يجعل الوقود والوقود جميعا بمعنى الخطب والمصدر، وذهب إلى أن الأول أكثر<sup>(٧٦)</sup>.

قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق وأبي السمال «اشترؤا»<sup>(٧٧)</sup> بكسر الواو لالتقاء الساكنين، كما يكسرون في غير هذا الموضع على الأصل عند التقائهما، وهو في الآية لغة شاذة، وضم الواو هو اللغة المطردة وعليه القراءة الأفشى<sup>(٧٨)</sup>.

وقد رفض الأخفش<sup>(٧٩)</sup> قراءة «إن هذين لساحران»<sup>(٨٠)</sup> بالياء في «هذين» والألف في «ساحران» التي قرأ بها اللغويان النحويان أبو عمرو ابن العلاء من السبعة وعيسى بن عمر، والتي قرأ بها أيضا الحسن البصري

وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعاصم الجحدري، وهي من القراءات المشهورة المعتد بها والمطابقة لقواعد العربية المجمع عليها والموافقة للقياس النحوي المبني على لغة قوية اطردها سماعها، وذلك لأنها لم توافق رسم المصحف.

وهو قد فضل قراءة على أخرى لموافقتها رسم المصحف وذلك في قوله تعالى «الصراط»، فقد روي عن ابن كثير وأبي عمر السنين والصاد، وقرأ ابن عباس بالسين<sup>(٨١)</sup>، ففيه على هذا لغتان، وقد اختار الأخفش قراءة الصاد لأنها كتبت كذلك في جميع القرآن، فهي تطابق الرسم القرآني في حين تخالف قراءة السنين رسم المصحف.

وقد اشترط الأخفش أيضاً لقبول أية قراءة أن تكون منسجمة المعنى مع السياق، وهو يردّها إذا لم تكن كذلك، فعل هذا مثلاً في قوله تعالى : ﴿من المصدقين﴾<sup>(٨٢)</sup>، فقد ذكر أن بعضهم يقرأ بثقليل الصاد، وإنما معنى تثقيلها المتصدقون، وليس التصديق بالمعنى المقصود، وإنما المقصود التصديق<sup>(٨٣)</sup>.

وكان الأخفش يستقصي وجوه الإعراب والقراءات معاً في أي القرآن على أكمل وجه وأدقه وأوضحه مما يدل على سعة اطلاعه وواسع إحاطته بالأمرين معاً.

فهو إذا وجد في آية وجهاً إعرابياً لم يقرأ به أصلاً، أو وجد آية لم يعرف لقراءة فيها وجهها من اللغة، فإنه ينص على ذلك صراحة، فقد ذهب مثلاً في قوله تعالى ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾<sup>(٨٤)</sup> إلى أن «عدة» بالرفع، وإن شئت نصبت على تقدير «فليصم عدة» إلا أن النص لم يقرأ<sup>(٨٥)</sup>، وذهب أيضاً في قوله تعالى

﴿كأنه جمالات صفر﴾<sup>(٨٦)</sup> إلى أن ابن عباس قرأ «جمالات» بضم الجيم، وأن هذا الوجه لا يعرف<sup>(٨٧)</sup>.

وخلاصة القول أن ما مضى من حديث القراءات يفضي بنا إلى أن نقرر مطمئنين أنه لم يكن لأخفشنا في هذا الموضوع موقف متميز تفرد به، وأنه كان كغيره من أئمة النحاة في البلدين مقلدا لأساتذته سائرا على نهجهم العام، مشاركا لأضرابه لم يخرج عن خطهم غالبا، ولم يبدع - فيما أعرف - موقفا يخالف المألوف من مواقفهم.

#### د لغات العرب وموقف البصريين والكوفيين بعامة منها :

احتج النحاة من المصريين بالمنظوم والمنثور من كلام العرب الموثوق بعربيتهم من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين ومخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وطرحوا كلام المولدين والمحدثين بعدهم، وذكر الثقات أن آخر من يحتج بهم إبراهيم بن هرمة المتوفى سنة ١٧٦ هـ.

وقد رفض بعض غلاة النحويين البصريين القدامى قبول جميع شعر جرير والفرزدق والأخطل ومن في طبقتهم مع أنهم يعدون في الإسلاميين، فإذا وجدوا شيئا من شعرهم لا ينطبق على القواعد التي قرروها لحنوهم، وأخبار عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي في تلحين الفرزدق مشهورة، وقد تزيد بعض هؤلاء النحاة فلقنوا بعض فحول الجاهلية، فهذا عيسى بن عمر مثلا يقول : أساء النابغة بقوله «في أنيابها السم ناقع» وكان عليه أن يقول «ناقعا»<sup>(٨٨)</sup>، وهذا اللغو، ابن فارس أيضا يتابعهم فيقول : «والشعراء أمراء الكلام يقصرون الممدود ولا يمددون المقصور ويقدمون ويؤخرون ويومئون ويشيرون ويختلسون ويعيرون ويستعيرون، فأما لحن في إعراب أو إزالة كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك، ولا معنى لقول

من يقول : إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما لا يجوز، ولا معنى لقول من قال : «ألم يأتيك والأنباء تنمي» ، وهذا وإن صح وما أشبهه من قوله : «لما جفا إخوانه مصعباً» وقوله : «قفا عند مما تعرفان ربوع» فكله غلط وخطأ وما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الخطأ والغلط ، فما صح من شعرهم فمقبول وما أبته العربية وأصولها فمردود» (٨٩).

ولقد أوقع المغالون من النحويين القدامى ومن تابعهم أنفسهم بهذا الذي قالوه وفعلوه في تناقض شديد، إذ لو قبلنا منهم أن نصم أمثال هؤلاء الشعراء الكبار باللحن في موطن فمن يضمن لنا سلامتهم من اللحن في مواطن أخرى كان هؤلاء النحاة قد اتخذوا منها سنداً في تقرير أصل من أصولهم أو تأييد رأي من آرائهم .

ولو أن النحاة واللغويين البصريين المتشددين قالوا في كل كلام لا ترضاه مقاييسهم وقواعدهم : هو لغة أقل فصاحة ، لكان ذلك موقفاً حسناً ؛ لأن لغات القبائل تتفاوت في مستوى الفصاحة ، فلغة أزد عمان مثلاً دون لغة هذيل ، وهذه أقل من لغة قريش ، وهكذا .

ولم تكن نظرة هؤلاء النحاة البصريين إلى القبائل العربية أفضل من نظرتهم إلى من ذكرنا من الشعراء ، فهم لم يكونوا يعتدون بكل هذه القبائل ، وهم لم ينظروا إليها على حد سواء ، كما فعل الكوفيون ، بل كان جل اعتمادهم على القبائل الضاربة في كبد الجزيرة ؛ مثل قيس وأسد وتميم وهذيل وبعض كنانة وطيء .

كذلك كان نحاة البصرة إذا وجدوا في الشواهد المنظومة - وهي تشكل معظم مادة الشواهد النحوية - ما لا ينطبق على ضوابطهم وأعيتهم الحيل في توجيهها وتأويلها حملوها على الضرورة الشعرية سواء

كان للشاعر منها مندوحة أو لم يكن .

ولقد أدى هذا المسلك وذلك إلى سقوط الاحتجاج عند البصريين بمجموع غير يسير من شعر القبائل المعتد بها والمعتمد عليها في الشاهد، فقد ترك البصريون الاحتجاج بكلامها؛ لأنها لم تسكن حيث يريدون، هذا بالإضافة إلى الضرورة الشعرية التي منعتهم أيضا من الاستشهاد بكثير.

أما الكوفيون فقد قبلوا كل لغة وشاهد، حتى الشعر المصنوع والمنسوب لغير قائله قبلوه، واكتفوا كذلك بالشاهد الواحد، وباللغة الشاذة واللفظ الذي لم يطرد في الاستعمال مادام فصيحاً ليس فيه لحن صريح، وبنوا على كل ذلك أحكامهم واستنبطوا منها قواعدهم وأقاموا عليها أقيستهم، بل لقد رخصوا بالقياس النظري على مقتضى الرأي أحياناً إذا أعوزهم الشاهد، كذلك اعتدوا بلغات الأعراب وأشعارهم ممن فسدت فيهم السليقة بسبب الاختلاط بالحضر، فعل ذلك مثلاً شيخ الكوفيين الكسائي الذي اعتمد على كلام أعراب الحطمية الذين يسكنون قرب بغداد في الاحتجاج لرأيه في مناظرته الشهيرة في المسألة الزنبورية مع شيخ البصريين سيبويه الذي أنف من الاحتجاج بكلامهم، وفعل مثل هذا وأكثر منه غير الكسائي من سائر مشاهير الكوفيين وأعلامهم.

وقد أدى كل ماسبق بالكوفيين إلى أن يقل عندهم التأويل والحكم بالشدوذ والضرورات خلافاً للبصريين الذين كثر عندهم ذلك .

وإنه ليمكننا في ضوء ما قررناه أن نقول إننا نستطيع أن نشبه البصريين بالمحافظين المتمسكين بالقديم الثابت، والكوفيين بالمجددين الذين يتلمسون التوسع ويجرون وراء الابتكار.



على أن النحاة البصريين القدماء ومن تابعهم واصطبغ نحوه بمذهبهم - وكذلك اللغويون - لم يكونوا يجمعون على الالتزام الدائم بموقفهم الصارم في تحكيم قوانينهم في المأثور من كلام العرب ، فقد كان منهم من يخالف موقفه موقف قومه العام قليلاً أو كثيراً ، وكان منهم أيضاً من يخالف فعله قوله في بعض الأحيان ، ومن هذا ذاك :-

أنهم قالوا مثلاً بعدم جواز إدخال «أل» على كل وبعض ، لكنهم استعملوها معها غير آبهين لقيدهم ، وكتب النحو القديمة مليئة بمصطلح «بدل البعض من الكل» و «بدل الكل من الكل» جرى ذلك على ألسنة النحاة البصريين القدماء وفيهم سيبويه والأخفش وأصراهما ، وعلى ألسنة من بعدهم من مقدميهم وغيرهم مما لا تحيطه العين في هذه الكتب .

وأنهم قالوا أيضاً لا تستعمل كلمات كافة وقاطبة وطراً ومعاً وعامة إلا منصوبة ومجردة من أل والإضافة ، لكنهم لم يتخرجوا في استعمالها في كتبهم على خلاف ما قرروه ، من ذلك قول الزمخشري «ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب لإنشاء كتاب في الإعراب محيط بكافة الأبواب»<sup>(٩٠)</sup> وقول الرازي «الكافة : الجميع من الناس»<sup>(٩١)</sup> .

وقال سيبويه «وأما بلى فتوجب بها بعد النفي ، وأما نعم فعدة وتصديق»<sup>(٩٢)</sup> لكنه استعمل في الوقت نفسه نعم موضع بلى فأوجب بها بعد النفي<sup>(٩٣)</sup> .

ومنع الحريري أن تلتقي «بينما» بإذ مع أن كتب العربية مشحونة بهذا الاستعمال ، ولكن الحريري نفسه لم يلتزم بما منع ، بل لقد أكثر من مخالفة ما منعه ، فقد قال مثلاً في إحدى مقاماته «فبينما أنا تحت طراف ،

مع رفقة ظراف، وقد هي وطيس الحصباء... إذ هجم علينا شيخ<sup>(٩٤)</sup>، وقال في مقامة أخرى «وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد... إذ احتف بنا ذو طمرين»<sup>(٩٥)</sup>، وقال مثل ذلك في سائر المقامات.

#### هـ) موقف الأخفش من لغات العرب :

علينا بعد الصورة العامة السابقة التي عرضناها لمواقف النحويين البصريين القدامى من لغات العرب أن ننظر في نحو الأخفش نفسه - وهو منهم - لنزداد معرفة بموقفه من هذه اللغات، فمن مسائل الأخفش :

نقله كسر الشين في قوله تعالى ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾<sup>(٩٦)</sup> عن بني تميم أهل نجد، ونقله تسكينها عن أهل الحجاز<sup>(٩٧)</sup>.

روايته عن بعض العرب طفق يطفق من باب ضرب والمصدر طفوق إلى جانب اللغة المطردة على ألسنتهم وهي طفق يطفق من باب فرح يفرح والمصدر طفق، وكلا اللغتين فصيح<sup>(٩٨)</sup>.

حكايته عن العرب أنهم يقولون «أخذ الله بذلك وواخذه الله، لغتان»<sup>(٩٩)</sup>.

قبوله من بكر بن وائل سكان شرق الجزيرة، والبصريون لا يطمئون إلى لغتهم لمجاورتهم النبط والفرس، ومن عبد القيس، والبصريون لا يأخذون بلغتهم لأنهم كانوا من سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ومن أهل اليمن الذين لا يحتج بهم أصلاً لمخالطتهم الهند والحبشة وولادة الحبشة فيهم، ومن أزد عمان الذين لم يحتج بهم البصريون لمخالطتهم الهند

والفرس ، ومن بني قشير الذين سكنوا اليمامة ، والبصريون لا يأخذون عن أهلها لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ومن حاضرة الحجاز مخالفا في ذلك منهج قومه البصريين في عدم أخذهم منها شيئا لأن الذين نقلوا اللغة صادفوا أهلها حين ابتداءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم<sup>(١٠٠)</sup>.

فقد احتج مثلاً مع الكوفيين على عمل «لعل» الجربيت كعب بن سهم الغنوي :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب وهو من بني عقيل بن كعب<sup>(١٠١)</sup> من سكان البحرين .

وقبل أيضاً لغة بني قشير «سخين» بالخاء للسكين<sup>(١٠٢)</sup>، وجمعها سخاخين . ونقل قراءة أهل المدينة الشاذة «قيماً» بتخفيف الياء مع تسكينها وفتح القاف في قوله تعالى ﴿ديناً قيماً﴾<sup>(١٠٣)</sup>، وقبل هذه القراءة الشاذة بل إنها حسنة ولم أسمعها من العرب<sup>(١٠٤)</sup>.

يتضح من هذه المسائل أن الأخفش احترم لغات العرب جميعاً احتراماً تاماً ورأها الأصل الأول الذي يركن إليه ، لذلك نقلها ، سواء في ذلك ما سمعه من العرب بنفسه أو ما رواه عمن سمع من العرب أو ما لم يسمعه أو يرويه وإنما وجد له تعلقة فحسب يتعلل بها لقبوله من قراءة شاذة ونحو ذلك .

وقد قبل هذه اللغات كلها سواء أكانت مما يقبله قومه البصريون أم يرفضونه ، وهو بهذا يجدد في موقفه ويخرج عن النمط التقليدي المحافظ لقومه ليقف مع الكوفيين في اتجاههم العام إلى الاحتجاج بكل لغة مهما كانت درجتها من الفصاحة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم

تعصبه لأهل بلده وعلى انفتاحه وإباحته ما حرموه والأخذ بما تركوه والإقرار بما أنكروه عن قصد وإرادة لا يشوبها تردد أو إحجام وعلى استعداده لقبول ما يعتقده حقاً من مواقف منافسيهم حتى لو كان قومه يرونه غير ذلك، أو للانفراد بجديد لم يقل به غيره أو لم يسمع به هو وسواه من هذه اللغات .

على أن الأخفش خالف في الوقت نفسه بعض ما سمع من العرب الثقات مما يعني أنه كان يتخذ أحياناً موقفاً مستقلاً يرجح فيه ما يرى رجحانه من لغة على أخرى مع فصاحتها واحترامه لهما، من ذلك :  
النسب إلى «شية» ونحوها مما هو محذوف الفاء معتل اللام، فقد قال في النسب إليها «وشي» على وزن «فعلي» برد فاء الكلمة وتسكين عينها وكسر لامها لمناسبة ياء النسب مع بقائها ياء، خلافاً لما سمع من ناس من العرب يحتج بقولهم، على ما حكاه الأخفش نفسه عن يونس من أن حماداً الراوية حدثه أنهم يقولون في النسب إلى شية «شيوي» على وزن «علوي» بوضع الفاء موضع اللام ثم النسب، وقد خالف الأخفش في صيغته سيويه<sup>(١٠٥)</sup> أيضاً الذي رأى أن النسب إلى شية هو «وشي» على وزن «فعلي» برد فاء الكلمة وفتح عينها وقلب لامها واواً مكسورة<sup>(١٠٦)</sup>.

الأخفش في سائر دراساته النحوية :

أ) الحدود والتعالييل :

عني الأخفش بتطوير حدود أساتذة سيويه وإخراجها عن الفطرة البسيطة إلى شيء من المفهوم الفلسفي المركب، وتقريبها من الحدود المنطقية الصريحة القائمة على ما يدخله الجنس ويخرجه الفصل والعرض

الخاص والعرض العام، يظهر هذا على سبيل المثال في حده الاسم بأنه «ماجاز فيه نفعني وضرني»<sup>(١٠٧)</sup> يريد أنه ماجاز أن يخبر عنه، في حين عرفه سيبويه تعريفاً يسيراً عن طريق التمثيل له فحسب فقال: «الاسم رجل وفرس وحائط»<sup>(١٠٨)</sup>.

وللأخفش إسهام في التعليل أيضاً وهو في حقيقته مجاوزة مجرد النقل إلى العقل وتركيب ذهني وسبك فلسفي للأسباب يخرج بها عن العفوية اللغوية.

ومن تعليقات الأخفش العقلية تعليله لإضافة اسم الزمان إلى الفعل بقوله: «إنما أضيفت أسماء الزمان إلى الأفعال لأن الأزمنة كلها ظروف للأفعال والمصادر، والظروف أضعف الأسماء فقووها بالإضافة إلى الأفعال»<sup>(١٠٩)</sup>.

وقد امتدت عناية الأخفش بالتعليل المنطقي وإمعانه فيه حتى شمل عنده تعليل ما لم يقع في اللغة، من ذلك تعليله امتناع الفعل المضارع من الجر الذي علله سيبويه من قبل بشكل أيسر وأدنى إلى الواقع اللغوي بقوله «وليس في الأفعال المضارعة جر، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين وليس ذلك في هذه الأفعال»<sup>(١١٠)</sup>، لكن الأخفش أدلى بعلّة جديدة أطول وأشدّ غموضاً وأكثر تفلسفاً فقال «لم يدخل الأفعال جر لأنها أدلة، وليست الأدلة بالشيء الذي تدل عليه، وأما زيد وعمرو وأشبه ذلك فهو الشيء بعينه، وإنما يضاف إلى الشيء بعينه لا إلى ما يدل عليه، وليس يكون جر في شيء من الكلام إلا بالإضافة»<sup>(١١١)</sup>.

وعلى الرغم من كل هذا فقد ظهر في نحو الأخفش معالجات

لبعض الظواهر النحوية واللغوية استوحى فيها أساليب العربية في تركيب الكلام وذوق المعاني بعيداً عن منطق العلة وتفلسف البراهين وتعقيدات الجدل ، وهو منهج كان الكوفيون يرتضونه ويميلون إليه كثيراً ويعملون به ، ومن آيات ذلك :

قوله بزيادة «إن» بعد «ما» النافية في قول فروة بن مسيك (١١٢) المرادي :

وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا (١١٣)  
وهي في هذه الحال تمنع «ما» عنده من نصب الخبر (١١٤) .  
وقوله بزيادة أصبح وأمسى وكان بين ما وفعل التعجب (١١٥) ،  
وزيادة كاد في غير (١١٥) التعجب نحو: ما أصبح أبردها ، وما أمسى أدفأها ، وما كان أصبح علم من تقدما ، وقوله تعالى : ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ .

فقد حرص الأخص في هذه الأمثلة ونحوها على أن لا تكون الزيادة في بنية الجملة عبثاً بل محكومة بضابط لا مفر من مراعاته وهو أن لا تؤدي بحال إلى الخروج عن الذوق وإلى تعمية المعنى ، وأن تكون لفائدة هي ؛ التوكيد عن طريق تثبيت المعنى وتقوية المبنى وليس لمجرد التجميل ونحوه ، وأن تكون كذلك ظاهرة المعنى لا غموض فيها يدعو إلى افتعال تفسير لوجودها أو تأويل للمراد منها بل هي بسيطة تتلاءم مع الفهم الواضح المقصود أصحابها من تركيب كلامهم وترتيب نظامه .

وقوله بحذف حرف «قد» قبل الفعل الماضي ليصح (١١٧) وقوعه حالاً في قوله تعالى ﴿جاءوكم حصرت صدورهم﴾ (١١٨) .

وقوله بحذف الاسم المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في قوله

تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾<sup>(١١٩)</sup>، ومثل هذا في التنزيل وغيره كثير، ومع ذلك فقد رأى الأخفش أن هذا الحذف مقصور على السماع وأن القياس على المسموع ممنوع، في حين رأى ابن جني أن الحذف<sup>(١٢٠)</sup> مقيس لكثرة المسموع منه في القرآن والشعر من جهة ولسعة المجاز في العربية واستمراره على ألسنة العرب من جهة أخرى.

وقوله بحذف الاسم المضاف إليه في قوله تعالى ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾<sup>(١٢١)</sup> أي لكل أمة، وفي قول جرير:

ياتيم تيم عدي لا أبا لكم لا يوقعنكم في سوءة عمر  
أي ياتيم عدي تيم<sup>(١٢٢)</sup> عدي.

وقوله بحذف الإسمين المضاف والمضاف إليه معاً في قول القائل «ضربي زيداً قائماً» فقد قدر الأخفش الجملة «ضربي زيداً ضربه قائماً» فحذف خبراً مضافاً وضميراً مضافاً إليه في حين قدر سائر النحاة الجملة «ضربي زيداً حاصل إذ كان قائماً» للماضي و«إذا كان قائماً» للمستقبل، فحذفوا خبراً وظرفاً وفعللاً ناقصاً واسمه أو فعلاً تاماً وفاعله، وهو فيما صنع أكثر منهم انسجاماً مع الأصل المقرر القاضي بأنه ينبغي تقليل المحذوف ما أمكن لتقليل مخالفة الأصل<sup>(١٢٣)</sup>.

وقوله بحذف الفعل المضارع وفاعله بعد (لات) فقد رأى الأخفش أن (لات) لا تعمل شيئاً فإذا جاء بعدها منصوب فهو مفعول بفعل مضارع هو أرى محذوف مع فاعله، فمعنى «لات حين مناص» لا أرى حين مناص، أو لات أرى حين مناص، وبينهما فرق في إلحاق التاء بلا على أنها حرف للتأنيث، وفي تركها على أنها حرف<sup>(١٢٤)</sup> زائد.

وقوله بحذف الجار أولاً ثم حذف الضمير الذي كان مجروراً به ثم انتصب بعد حذف الجار، من قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾<sup>(١٢٥)</sup> فالأصل «لا تجزي فيه» ثم حذفت «في» فصار «لا تجزيه» ثم حذف الضمير منصوباً لا مخفوضاً. (١٢٦)

وقد حرص الأخفش في هذه المسائل ونحوها على مثل الموقف الذي حرص عليه في أمثلة الزيادة، فالحذف عنده كالزيادة، كلاهما محكوم بضرورة عدم الإخلال بالمعنى، وهو مثلها قد يكون في الحروف، والأسماء، وفي الفعل، وكذلك في أشباه الجمل على نحو ما مثلناها جميعاً.

#### (ب) العوامل:

هذا الأخفش في موقفه من العامل حذو سابقه من رؤساء نحاة البصرة كالخليل وسيبويه فأخذ به كما أخذوا، وفعل فعلهم في عد الإعراب أثراً يجلبه العامل ظاهراً أو مقدرأً، وقد حمله هذا كما حملهم على تقدير العامل إن لم يجده ظاهراً نحو: سقياً ورعياً، فقد جعلوا تقديرهما: سقاك الله سقياً ورعاك الله رعيأً، ثم قاسوا عليهما ما كان مثلها نحو: الليل الليل، والله الله في أمري<sup>(١٢٧)</sup>.

ورأى الأخفش كسائر البصريين أن العامل ينبغي أن يتقدم على معموله، فإذا تأخر عنه بطل عمله فيه، لذلك لم يحز عندهم تقدم الحال على المبتدأ الذي خبره جملة فعلية فعلها عامل في الحال نحو «راكباً زيد جاء» وذلك لبعد الحال عن العامل، لكن الأخفش أجاز على ضعف «راكباً جاء زيد» لأن الحال وإن تقدمت على عاملها فهي ملتصقة به<sup>(١٢٨)</sup>.



وذهب كالبصريين إلى أن تغيير بنية العامل لا يؤثر في عمله مادام معناه ملتزماً، فتخفيف إن مثلاً لا يمنع من إعمالها، فيقال: إن زيدا لمنطلق، بإعمالها على المعنى دون إضمار للاسم، وعلى هذا قراءة الحرمين<sup>(١٢٩)</sup> وأبي بكر «إن كل نفس لما عليها حافظ»<sup>(١٣١)</sup> بإرادة معنى الثقيلة فتعمل عملها، ومثل ذلك تخفيف كأن ولكن، فتعمل جميعاً مخففة كما تعمل غير مخففة<sup>(١٣١)</sup>.

هذه جملة من متابعات الأخفش التقليدية في قضية العامل، وهي لا تميزه عن غيره في هذا الموضوع بشيء، لكنه تميز في بعض الأحيان بمواقف كان لها وضع خاص يلفت النظر ويخرج به عن المعتاد والمألوف. فهو مثلاً قد قرر مستقلاً أن زيادة «إن» في قولنا «ما إن هذا زيد» تحول دون نصب الخبر بها<sup>(١٣١)</sup>.

وهو قد ناقض نفسه ونقض قاعدته التي وضعها حين قرر أن الحرف الأصلي هو الذي يعمل، ثم لم يلبث أن أعمل «أن» في قوله تعالى ﴿ومالنا أن لا نقاتل﴾<sup>(١٣٢)</sup> وفي قوله تعالى ﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله﴾<sup>(١٣٤)</sup> فنصب بها الفعلين مع زيادتها مستخدماً القياس الواضح على عمل «من» في قولك «ما أتاني من أحد» مع زيادتها، وعلى عمل الباء الزائدة في «ليس زيد بقائم»<sup>(١٣٥)</sup>.

وهو قد تفرد بإجازة إعمال الظرف والجار والمجرور مطلقاً أي سواء اعتمداً على نفي أو استفهام أو موصوف أو موصول أو صاحب خبر أو حال أو لم يعتمدا، وذلك لشبهها بالفعل في القوة، نحو: ما في الدار أحد، أفي الدار زيد؟، مررت برجل معه صقر، جاء الذي في الدار أبوه، زيد عندك أخوه، مررت بزيد عليه جبة، ونحو: عندك زيد، فقد رفع

كل منهما عند الأخفش اسماً ظاهراً على الفاعلية» (١٣٦).

### ج) المقاييس :

كان الأخفش يتشدد في القياس في بعض المسائل كقومه البصريين ، ومع هذا فقد كان مكثراً من استعماله مولعاً به كما يقول ابن جني (١٣٧) ، لذلك ألف فيه كتابه «المقاييس» وتزويد في تطبيقه على طائفة كبيرة من مسائل النحو والصرف حتى ظهر في شطر من أقيسته التسمح كالكوفيين ، فقد كان يسارع إذا قيل له مثلاً : ابن مثل كذا من كذا مما لم تب العرب مثله إلى تكلف بناء ذلك ويقول : إنما سألتني أن أمثل لك ، وكان يبني جميع ما يسأل عنه ويقول : مسألتك ليست بخطأ وتمثيلي عليها صواب فإن أبى صاحبك فقل له : فلو جاء فكيف ينبغي أن يكون ؟ فإنه لا يجد بداً من الرجوع إليك .

وبهذا تمادى الأخفش في استعمال القياس حتى جاءت له مواقف فيه تجاوز بها القصد فاصطنع الصيغ وصنعها ، وطرده القياس في الباب الواحد وأجاز في كل أفرادها ما يجوز لأحدها أو بعضها بالسماح تسميحاً ، وقاس شيئاً على شيء شبيه به شبيهاً بعيداً ، كما قاس كالكوفيين على الشاهد الواحد أو القليل النادر ، مع أنه كان من الواجب أن يقف تسامحه عند الحدود التي لا يؤذن فيها للقياس بأن تكون علته خفية أو بأن يتجاوز السماع أو يضاده ، لأن المراد في الحقيقة من القياس أنه إذا ورد شيء ولم يعلم كيف تكلموا به فإنك تقيسه لا أنك تقيسه مع وجود السماع (١٣٨) .

ولعل مرد تشدد الأخفش في القياس النحوي في بعض الأحيان كالبصريين وتسامحه فيه في أحيان أخرى اقتداء بالكوفيين هو إلى انتقاله من البصرة إلى بغداد واتصاله بالكوفيين فيها وتأثره بأرائهم وتسمحاتهم ،

ثم عودته إلى البصرة وإقامته فيها وانقطاعه بذلك عن مشافهة الكوفيين ،  
مما أعاده ثانية إلى شيء من منهج البصريين المتشددين .

ومن مواقف الأخفش المتنوعة إزاء القياس وفيها ما تشدد فيه ، وما  
تساهل ، وما تجاوز بتساهله الحد :

- منعه إيلاء إن وأخواتها معمول<sup>(١٣٩)</sup> خبرها مع إجازة غيره ذلك  
قياساً على ما سمع من قول الشاعر :

فلا تلحني فيها فإن بحبها أخاك مصاب القلب جم بلابله  
- إجازته تشية الأعداد غير المائة والألف وجمعها قياساً على قول  
الشاعر :

فلن تستطيعوا أن تزيلوا الذي رسا  
لها عند عال فوق سبعين دائم<sup>(١٤٠)</sup> .

وفي حين لم يجز غيره من البصريين هذا القياس وعدوا البيت شاذاً يحفظ  
ولا يقاس عليه<sup>(١٤١)</sup> .

- إجازته إعراب ثاني العدد المركب إذا أضيف مع إبقاء الأول على  
بنائه قياساً على إحدى لغات العرب ، فتقول : هذه خمسة عشر ، بفتح  
التاء ورفع الراء ، وأخذت خمسة عشر ، بفتح التاء ونصب الراء ، ونظرت  
إلى خمسة عشر ، بفتح التاء وجر الراء<sup>(١٤٢)</sup> .

- إبقاؤه عمل إن بعد تخفيفها قياس<sup>(١٤٣)</sup> على إبقاء العرب عمل  
يكون بعد جزمها وحذف نونها للتخفيف مع بعد ما بينهما ، وجعل منه  
تخفيف أهل المدينة إن وإعمالها في قوله تعالى ﴿ وإن كلا لما ليوفينهم ربك  
أعمالهم ﴾<sup>(١٤٤)</sup> .

- قبوله الأشعار الشاذة واتخاذها أصلاً للقياس ، كما جرى في

## قول الشاعر:

فزججتها بمزجة زج القلوص أبى مزاده (١٤٥)

فقد جوز الأخفش وتابعه الكوفيون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به قياساً على هذا البيت ، فأقاموا عليه قاعدتهم هذه وطردوها ، في حين ذهب سيويوه إلى أنه لا يجوز الفصل بينهما إلا بالظرف في الشعر فحسب (١٤٦).

ومع مواقف الأخفش هذه كانت له مواقف أخرى التزم بها في القياس جانب الاعتدال ، وابتعد فيها عن التسمح وعن المغالاة والإبعاد على حد سواء ، وأدار القياس فيها بكفاءة وفقاً لمقاييس المفهومات المتماثلة ، واعتمد في الترجيح بين الأحكام القياسية على الذوق اللغوي والإحساس العميق بالمعاني ، ومن ذلك :

- قياسه رفع الابتداء للمبتدأ والخبر سوياً على إعمال إن في اسمها وخبرها معاً واعتباره هذا الحكم في المقيس أقيس وأوجه وأحسن مما ذهب إليه سيويوه من أن المبتدأ مرفوع بالابتداء وأن الخبر مرفوع (١٤٧) بالمبتدأ؛ لأنه أقرب إلى التوجيه الظاهر.

- قياسه بقية أفراد الباب على الفعلين القلبين المتعديين «علم ورأى» اللذين سمع (١٤٨) من العرب تعديتهما بالهمزة إلى أكثر من مفعول.

- حكمه بزيادة أكاد في غير التعجب (١٤٩) في نحو قوله تعالى ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ (١٥٠) قياساً على زيادة أصبح وأمسى السماعية في باب التعجب في قول العرب «ما أصبح أبردها ، وما أمسى أدفأها» وقياساً على زيادة «كان» أم الباب القياسية بين ما وفعل التعجب كقول

ابن مالك «ما كان أصح علم من تقدما»<sup>(١٥١)</sup> والسماعية في غيره<sup>(١٥٢)</sup>، وقد فتح ذلك الباب للكوفيين ليقيسوا<sup>(١٥٣)</sup> بدورهم بقية أفعال باب «كان» بناء على التماثل بين أم الباب وبقية أفرادها في العمل من جهة، وعلى عدم انتقاص المعنى بزيادة كل واحدة منها من جهة أخرى.

### الأخفش بين البصريين والكوفيين :

تأسس النحو على يد أهل البصرة الأوائل ، فهم الذين وضعوا قواعده وقننوا قوانينه وأقاموا أسسه ، ثم أسلموه لأهل الكوفة الذين شرعوا في الاشتغال به بعد مدرسة البصرة بنحو قرن كانوا في خلاله مشغولين بالسير والتراجم والأخبار والأشعار ونحو ذلك .

ويعد الأخفش واحداً من أعلام مدرسة البصرة المقدمين ، وأكبر أئمتها بعد سيبويه ، وهو نحوي عظيم ملأ الدنيا نحواً ولغة وخلد ذكره بما ترك من آثار وآراء ومواقف في الدرس النحوي واللغوي ، فهو لم يكن دارساً معتاداً ممن طواهم التاريخ فلا يذكرهم الناس إلا لماماً ، وإنما هو واحد من أبرز المشاهير الخالدين ، بل هو أحد من تميزوا فيهم .

ويؤكد منهج الأخفش العام بصريته ، وذلك على الرغم من خروجه المتكرر على بعض قواعد مدرسته البصرية ، ومحاولته المستمرة الإتيان بجديد في بعض جوانب البحث النحوي ، واشتغاله بالإكثار من مخالفة قومه البصريين ولا سيما أستاذه سيبويه أو بالزيادة عليهم وبمتابعة الكوفيين له في هذه المخالفات والزيادات ، أو بمتابعته الكوفيين في آرائهم في كثير من الأحيان .

وكان من المفروض أن يلتزم الأخفش كغيره من نحاة البصرة بخط قومه البصريين التزاماً دقيقاً ، وينهج نهجهم ، فلا يحيد عنه ولا

يخرج منه ، ولكنه ذهب إلى بغداد لينتقم من الكسائي الكوفي لهزيمة أستاذه سيبويه إمام البصريين أمامه في المناظرة الشهيرة في المسألة الزنبورية ، فكان ذهابه نقطة التحول الرئيسة في حياته العلمية ، إذ لم يلبث أن انقلب هدفه بعد وصوله إلى عاصمة الخلافة ولقائه مع الكسائي ، ونسي أو تناسى ماجاء من أجله وأصبحت الدنيا همه ، وتوارى الغرض العلمي من زيارة بغداد ليحل محله الغرض الديني ، لما رآه فيها مما لم يألف رؤيته في البصرة من دعة العيش ورفاهه ، ومن النفوذ الذي شاهد النحاة الكوفيين ينعمون به والمجد الذي عاينهم يتقبلون في أعطافه إلى جوار الخلفاء العباسيين ، الذين أحبوهم وقربوهم ؛ لأنهم كانوا شيعة لهم ، في حين كان البصريون شيعة للأمويين فتطلع إلى أن يصبح مثلهم وينعم بنحو ما ينعمون به فيقضي سائر أيام حياته في خير ونعمة لن يتاح له لو بقي في مدينته البصرة .

وهكذا تحول الأخفش من نحوي بصري الهوى والالتزام إلى صديق للكسائي رأس الكوفيين وللفراء إمامهم ولغيرهما من أقطابهم ، واستحال تحرشه بهم محبة لهم وتعلقاً بهم وتقرباً منهم ، ثم إن الكوفيين أنفسهم لم يكرهوا ذلك ، بل قربوه وصادقوه وبجلوه ، وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه سراً ، وأطمعه بالمال وقربه منه ووكل إليه أمر تدريس أولاده ، بل أتاح له أن يقوم فيما بعد بتأديب أولاد الخلفاء العباسيين وغيرهم من الأمراء والوجهاء .

كل هذا جعل هوى الكوفيين يتسرب إلى نفسه ، والميل إليهم يملأ قلبه فشرع يقف معهم في آرائهم أو يقفون معه في آرائه ، وكثر خروجه على قومه واختلافه معهم ومخالفته لأحكامهم ، ومال إلى اللين والتساهل في

مواقفه كالكوفيين ، ورجع عن كثير من آرائه السابقة إرضاء لهم أو قناعة بهم ، واستمر على هذا إلى أن عاد فيما بعد إلى موطنه في البصرة فعاد إليه شيء من الالتزام ومقدار من التشدد وعدم التسمح ، ولعل في هذا مايفسر اضطراب آرائه في شطر لا بأس به من فروع النحو ومسائله .

وقد تمكن الأخفش بذكائه وعلمه الواسع بلغات العرب ، وبإفساحه المجال لهذه اللغات جميعا حتى للشاذ منها ، وبكثرة اعتراضه على الخليل وسيبويه . . . أقول : لقد تمكن بكل هذا من أن ينفذ إلى آراء مبتكرة ، ومن أن يتبوأ مكانته العليا في الدرس النحوي في البصرة ، بل في الكوفة أيضا التي يعد ذا تأثير فيها ؛ لأنه كان أستاذ الكسائي رأس الكوفيين ، الذي أقرأه كتاب سيبويه كما ذكرنا ؛ ولأن الكوفيين حملوا عنه لغاته وآراءه ومخالفاته ، ومضوا يتوسعون فيها ويضيفون إليها ، فتكونت من حصيلة ذلك كله ومن غيره مدرستهم ، وأصبح الأخفش بمثابة من أقام الأساس لها ، وهذا يجعل القول بأن ديدنه كان مخالفة قومه البصريين ومتابعة أخصامهم الكوفيين فحسب - غير دقيق ، فهو الذي فتح لتلميذه الكسائي والفراء قطبي الكوفيين أبواب الخلاف واسعة على قطبي البصريين الخليل وسيبويه بما بسط من وجوهه ، فتابعاه في كثير منها ، ثم مضيا ومن بعدهما من نحاة الكوفة يتخذون من آرائه منطلقاً إلى آرائهم الخاصة بهم .

وفي كتب النحو فيض من الفروع التي وافق فيها الكسائي والفراء بخاصة والكوفيون بعامة - الأخفش في رأيه ، أو في بعض رأيه ، والتي تابع الأخفش فيها الكوفيين ، والتي خالف فيها سيبويه وجمهور البصريين ، والتي زاد فيها عليهم ، والتي وقف فيها موقفا مستقلا ، وغير ذلك ، ومن

هذه الفروع :

- ذهب الأخفش - ويتبعه الفراء - إلى أن الضمير في لولاي ولولاك ولولاه مبتدأ، وقد أناب العرب فيها الضمير المخفوض عن الضمير المرفوع، فأنا بوا لولاي عن لولا أنا، ولولاك عن لولا أنت، ولولاه عن لولاهو قياساً على إنابتهم ضمير الرفع عن ضمير الجر في قولهم : ما أنا كأنت، خلافاً لسيبويه الذي ذهب إلى أن لولا جارة لهذه الضمائر (١٥٤).  
- وذهابه إلى جواز دخول الواو على خبر كان وأخواتها إذا كان جملة؛ نحو: كان محمد ولا حمق عنده، وليس شيء إلا وفيه نقص، قياساً على قول الشاعر:

ما كان من بشر إلا وميته      محتومة لكن الأجل تختلف  
وعلى قول آخر:

ليس شيء إلا وفيه إذا ما      قابلته عين البصير اعتبار  
خلافاً لسيبويه، الذي لا يميز ذلك ويؤول ما جاء منه عن العرب على حذف الخبر (١٥٥).

- وذهابه إلى أن لاسيما من أدوات الاستثناء، خلافاً لسيبويه وجمهور البصريين في أن سي اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح، وما بعدها إما مجرور بإضافة سي إليه وعد ما زائدة، وإما مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وما موصولة بمعنى الذي والتقدير لاسي الذي هو زيد، وإما منصوب على التمييز (١٥٦).

- وزيادته على البصريين في العوامل المعنوية، ففي حين رأوها اثنين هما الابتداء في المبتدأ، والتجرد من الناصب والجازم في المضارع المرفوع، أضاف إليهما العامل في الخبر، فهو معنوي عنده؛ وهو الابتداء،



والعامل في النعت والتوكيد والبدل وهو معنوي عنده لأنه التبعية  
للمنعوت والمؤكد والمبدل منه (١٥٧).

- ومتابعته الكوفيين في جواز إلغاء العامل مع تقدمه على المعمول  
سواء أكان هذا العامل فعلاً أم حرفاً، فيجوز القول: ظننت زيد قائم،  
قياساً على قول كعب بن زهير:

أرجو وأمل أن تدنو مودتها وما إخال لدينا منك تنويل  
وعلى قول غيره: (١٥٨)

كذاك أدبت حتى صار من خلقي أني وجدت ملاك الشيمة الأدب  
وكذلك ورد قول الشاعر:

لولا فوارس من ذهل وأسرهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار  
على إلغاء (١٥٩) عمل «لم».

- تجويزه اشتقاق صيغة التعجب من غير الفعل الثلاثي مباشرة  
نحو: ما أتقنه وما أخطأه، كما جوز ذلك مباشرة من العاهات نحو: ما  
أعوره وما أعرجه، وتبعه فيهما الكسائي، خلافاً لسيبويه وجمهور  
البصريين (١٦٠).

- وتجويزه - وتبعه الكوفيون - حذف الحرف الثالث من جمع؛  
مثل: فرزدق، فيقولون: فرادق، خلافاً لسيبويه والبصريين الذين يرون  
القياس في جمعه فرازق بحذف الحرف الرابع (١٦١).

- ذهابه إلى أن وزن «هجرع» بمعنى الطويل، و «هبلع» بمعنى  
الأكل «هفعل» بزيادة الهاء فيهما؛ لأن الأولى مشتقة عنده من الجرع أي  
المكان السهل، والثانية مشتقة من البلع، خلافاً لسيبويه الذي ذهب إلى  
أنه «فعلل» (١٦٢).

وذهابه - وتبعه الكسائي - إلى أن «من» الجارة تزداد في الإيجاب (١٦٣) مثل : ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ (١٦٤)، ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ (١٦٥)، ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ (١٦٦).

- قوله - وتابعه الفراء - بجواز تأخير الخبر إذا كان المبتدأ مبدوءاً بأن مفتوحة الهمزة (١٦٧) نحو: أن العلم نور قول مشهور، فقد قاسه الأخفش على مجيء الخبر مؤخراً مع أن المصدرية في نحو: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ (١٦٨).

- وقوله - وتابعه الكوفيون - إن المبتدأ إذا كان اسم فاعل أغنى فاعله عن الخبر بدون اعتماد على نفي أو استفهام مثل : قائم الزيدان، وكذلك إذا كان اسم الفاعل اسماً لأن؛ نحو: إن قائم الزيدان (١٦٩).

- إجازته - وتابعه الكوفيون - حذف الاسم الموصول إذا علم؛ كقول حسان :

فمن يهجو رسول الله منكم  
ويمدحه وينصره سواء  
أي : ومن يمدحه (١٧٠).

- ذهابه مع يونس البصري والكوفيين وتبعهم ابن مالك إلى عدم وجوب إعادة الخافض إذا عطف على الضمير المتصل المخفوض، مستدلين بقراءة حمزة من السبعة وابن عباس والحسن البصري : ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ (١٧١) بخفض (الأرحام) وعدم إعادة الباء، وذلك خلافاً لأكثر البصريين الذين يأخذون بقراءة جمهور السبعة المرسومة في المصحف وهي «تساءلون به والأرحام» على تقدير «واتقوا الأرحام أن تقطعوها» (١٧٢).

لا يجوز عند جمهور البصريين أن نقول «كم غلماناً عندك؟» خلافاً

للكوفيين، الذين يجوزون جمع تمييز (كم) الاستفهامية كهذا المثال، وكقولنا «كم شهوداً لك؟» وذهب الأخفش إلى جواز جمع تمييز (كم) الاستفهامية شريطة أن يكون الاستفهام والسؤال عن الجماعات والأصناف كهذين المثالين إذا أردت منهما أصنافاً من الغلمان وجماعات من الشهود<sup>(١٧٣)</sup>.

يستغنى عن تثنية أجمع وجمعاء بكلا وكلتا كما استغنوا بتثنية سي عن تثنية سواء، فقالوا: سيان، ولم يقولوا: سواءان، إلا نادراً، وأجاز الأخفش والكوفيون تثنية أجمع وجمعاء فقالوا: جاء الزيدان أجمعان وجاءت الهندان جمعاً وان، وهذا الخلاف جار أيضاً بين الفريقين في تثنية ماوازنهما نحو: أكتع وكتعاء وأبضع<sup>(١٧٤)</sup> وبصعاء.

يرى جمهور البصريين أن البدل إن كان غير دال على الإحاطة فإنه يمنع بدل الكل من الكل، وقول الشاعر: -

بكم قریش کفینا کل معضلة وأم نهج الهدى من كان ضليلاً  
محل خلاف، فهذا الجمهور لا يثبتون بدل الكل فيه؛ لأن البدل في البيت غير دال على الإحاطة، والأخفش والكوفيون يقولون به تمسكاً بهذا البيت ويرون أن قریشاً بدل كل من ضمير الحاضر وهو الكاف في «بكم» على الرغم من أن البدل لم يدل على الإحاطة، فهم لا يشترطون ذلك فيه<sup>(١٧٥)</sup>.

«ياقيم كلهم أو كلکم» هذا مثال لتابع التوكيد المعنوي المضاف الذي يجب نصبه عند النحاة، ويوجد مع تابع المنادى في هذا المثال ضمير، وهذا الضمير يجوز أن يؤتى به دالاً على الغيبة باعتبار الأصل، فيقال «كلهم»، وأن يؤتى به دالاً على الحضور باعتبار الحال فيقال

«كلكم»، لكن الأخفش منع مراعاة الحال وقال في «ياتمim كلكم» يجوز رفع التوكيد ونصبه، فإن رفع فهو مبتدأ وخبره محذوف أي «كلكم مدعو» وإن نصب فبفعل محذوف أي «كلكم دعوت» (١٧٦).

«ثم» حرف عطف يفيد الجمع والترتيب والمهلة، وذهب الأخفش إلى أن «ثم» قد تتخلف عن التراخي بدليل قولك «أعجبني ماصنعت اليوم ثم ماصنعت أمس أعجب» لأن ثم في هذا القول جاءت في الترتيب الإخباري ولا تراخي بين الإخبارين (١٧٧).

قال الشاعر :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب      ياليت عدة حول كله رجب  
توكيد النكرة «حول» توكيدا معنويا بـ «كله» كما في هذا البيت صحيح، لكنه شاذ عند جمهور البصريين، لأنه نادر أو قليل فيحفظ ولا يقاس عليه، وقد تابعهم ابن هشام على ذلك في بعض كتبه كالشذور والقطر.

ورأى الأخفش وجمهور الكوفيين أن توكيد النكرة توكيدا معنويا صحيح مطرد شريطة أن يكون هذا النوع من التوكيد للنكرة مفيدا، وأنشدوا هذا البيت ونحوه دليلا على ذلك، وقد تابعهم ابن هشام على رأيهم هذا في بعض كتبه الأخرى كالتوضيح، واختار هذا الرأي أيضا ابن مالك والرضي الاسترابادي والشاطبي (١٧٨).

بعد هذه الأمثلة الكثيرة يمكن القول إن الأخفش قد التقى في مسائل كثيرة (١٧٩) مع الكوفيين من خلال التأثير المتبادل بينهم وبينه، لكن تأثيره فيهم وإعانته لهم على تحقيق غرضهم في إنشاء مذهب خاص بهم مغاير في أطره العامة وفي كثير من فروعه لمذهب البصريين - كانا أشد وضوحا وأكثر ظهورا.

وقد بدا تأثر الأخفش بالكوفيين خاصة في المسائل التي كان له فيها أولا رأي كرأي البصريين ثم مالبت أن تركه إلى رأي آخر يماثل رأيهم، ومن العسير فيما عدا هذا أن نحدد أي المسائل وافق فيه الكوفيين وأياها وافقوه فيه .

### اضطراب آراء الأخفش :

مما يلفت النظر في نحو الأخفش ظاهرة اضطراب آرائه وورود أكثر من رأي له في المسألة الواحدة، فقد رأيناه أحيانا يقول في مسألة برأي يتفق مع رأي سيبويه والبصريين فيها، وبرأي آخر يماثل رأي الكوفيين، وبثالث يستقل به ولا يحذو فيه حذو أحد، وهو في هذا الاضطراب لم يكن نسيج وحده بين النحاة، فقد اضطربت مواقفهم أيضا، لكنه زاد عليهم في ذلك حتى كان أبو علي يقول إذا سمع اضطراب آرائه وتناقضها «عكر الشيخ»<sup>(١٨٠)</sup> وقال عنه ابن جني «كان أبو الحسن ركباً لهذا الشبح»<sup>(١٨١)</sup> أخذاً به غير محتشم منه وأكثر كلامه في عامة كتبه عليه»<sup>(١٨٠)</sup>.

وقال عنه السيوطي «كان أبو الحسن الأخفش يقع له ذلك كثيرا حتى إن أبا علي كان إذا عرض له قول عنه يقول : لابد من النظر في إلزامه إياه؛ لأن مذاهبه كثيرة»<sup>(١٨٢)</sup> ولعل ذلك كان منه في أكثر الأحيان حرصا على الوصول إلى الأحسن والأدق من الآراء في المسائل، وجريا على الزيادة في التمهيص والنظر من أجل الابداع والتطوير والوصول إلى الجديد عن طريق التجديد، ولكي يخرج عما يراه قاصرا إلى ما يراه صحيحا، أو عما يراه ناقصا إلى ما يراه أكمل منه وأشمل، أو عما يراه سطوحيا أو تقليديا إلى ما يراه أعمق وأكثر جدة وابتكارا وإبداعا.

وربما كان ذلك في بعض الأحيان مظهرا من مظاهر التردد لتعدد الأدلة أمامه في المسألة الواحدة، ولانعدام القدرة على الجزم فيها والقطع بأحدها وطرح ماسواه.

ويبدو لي أن سبب اضطراب رأي الأخفش في طائفة كبيرة من المسائل وخلافه مع البصريين وزيادته عليهم، ومتابعته للكوفيين أو متابعتهم له، مما يشاهد كثيرا في الكتب النحوية في الفروع الخلافية هو نفسه السبب الذي ذكرناه من قبل ورددنا إليه مراوحته بين التشدد في القياس تأثرا بالبصريين وتساهله فيه متابعا للكوفيين.

وخلاصة هذا السبب في هذه الأمور جميعا هو اتصاله بالكوفيين في بغداد بعد رحيله إليها من البصرة واختلاطه بهم ومصادقته لأئمتهم وتأثره باتجاهاتهم المتساهلة، ثم عودته إلى البصرة وابتعاده بذلك عن الكوفيين في بغداد مما أعاده إلى جو التشدد والالتزام الدقيق في الدرس النحوي في شتى مناحيه.

وأيا ما كان الأمر فإن من المسائل الكثيرة التي تعدد رأيه فيها:

- ذهابه تارة إلى إهمال «لات» وقوله إن العمل الموجود بعدها هو غيرها وليس، لها فإذا وليها مرفوع فمبتدأ خبره محذوف وإذا وليها منصوب فبإضمار فعل، وذهابه طورا آخر إلى أن «لات» تعمل عمل «إن» فتنصب الاسم وترفع الخبر (١٨٣).

- قوله برأي الخليل وسيبويه في أن جازم جواب الشرط هو الأداة والشرط معا، وقوله أيضا برأي الكوفيين في أن الشرط والجواب تجازما كما ترافع المبتدأ والخبر، واستقلاله بالقول إن جازم الشرط الأداة وجازم الجواب الشرط (١٨٤).

- قوله مرة إن اللغة تواضع واصطلاح ، وقوله مرة أخرى إنها وحي وتوقيف ، وتابعه في قوله أبو على الفارسي ، والتوقيف رأي الأشعري ، والاصطلاح رأي المعتزلة (١٨٥).

- «ما» التعجبية في قولنا «ما أحسن زيدا» اسم بالإجماع بدليل عود الضمير في الفعل «أحسن» عليها ، والضمائر لا تعود إلا إلى الأسماء ، وعدها سبويه وجهور البصريين نكرة بمعنى شيء ، وإنما جاز الابتداء بها مع أنها نكرة لتضمنها معنى التعجب والجملة الفعلية بعدها خبر . وعدها الأخفش اسما موصولا بمعنى الذي ، والجملة الفعلية بعدها صلة الموصول ، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا ، والتقدير «الذي أحسن زيدا شيء عظيم» .

وعدها الأخفش في قول آخر له نكرة بمعنى شيء والجملة بعدها في محل رفع نعت ؛ لأن الجمل بعد النكرات صفات ، وهذا النعت هو أحد مسوغي الابتداء بها النكرة ، وتضمنها معنى التعجب هو المسوغ الآخر ، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا والتقدير «شيء أحسن زيدا شيء عظيم» (١٨٦).

تأثير الأخفش فيمن أتى بعده من أئمة الدرس النحوي واللغوي :  
كان للأخفش تأثير لا ينكر في خالفه من علماء العربية البصريين والكوفيين والبغداديين وفيمن أتى بعدهم من أهل المدارس المتعاقبة في المشرق والمغرب .

وكان لابد أن يحدث هذا التأثير ، فقد قال الكسائي في الرجل (لم يكن في القوم - يعني البصريين - أعلم من الأخفش) (١٨٧) ، وقال الفراء عنه حين نعت أحدهم بسيد أهل اللغة : (أما مادام الأخفش يعيش

فلا<sup>(١٨٨)</sup>، وقال الفراء عنه أيضا حين علم بعزمه على الخروج إلى الري  
(لئن كان خرج فقد خرج معه النحو كله)<sup>(١٨٩)</sup>.

فإذا كان هذا مقدار إعجاب قطبي الكوفة بالأخفش البصري، وإذا  
كانت هذه أقوالهما فيه وهي قد بلغت ذروة المدح وقمة الثناء، فإن ذلك  
يعني بوضوح أنهما اطلعا على علمه واستفادا منه، وأنهما يدعوان نحاة  
الكوفة المعاصرين ومن بعدهم إلى الاقتداء بهما في الحرص على علم  
الأخفش والاستفادة منه.

ولقد ظهر تأثير الأخفش أيضا فيمن أتى بعده من أهل بغداد ومن  
غيرهم، سواء أكانوا من اللغويين أم من أهل النحو والبلاغة وغيرهما من  
علوم اللسان، فلقد أثر في أبي على الفارسي الذي اتصل بكتبه ونقل عنها  
وعول عليها، وفي ابن جني الذي طبع «خصائصه» بطابع «مقاييس»  
الأخفش وملاً «منصفه على تصريف المازني» بآرائه الصرفية، وفي ابن  
السراج الذي أكثر من الرواية عنه في «أصوله» واعتمد عليه في  
الاحتجاج، وفي السكاكي الذي جعل آراءه واحدا من مصادره الرئيسة  
في كتابه البلاغي «مفتاح العلوم» وجعل أيضا مفتاحه هذا معرضا لمواقف  
الأخفش في علم العروض والقوافي التي تابع فيها خطى الخليل ولآرائه  
التي خالفه فيها، وفي ابن فارس في «مقاييسه» وفي الجوهري في  
«صحاحه». وفي الرازي في «مختاره من الصحاح». وفي ابن منظور في  
مصنفه «لسان العرب»، وهي جميعا مليئة بروايات الأخفش اللغوية  
والنحوية والصرفية والبلاغية والعروضية.

وقد أورد أحد الباحثين<sup>(١٩٠)</sup> إحصاء غريبا طريفا، بين فيه من  
تأثروا بالأخفش في مختلف العصور وأحصى عدد المسائل التي تأثر



أكثرهم به فيها فقال «إن ابن مالك كان أكثرهم تأثراً وقد نيف ما وافقه فيه على أربعين مسألة، ثم وليه أبو علي الذي نيف ما وافق الأخفش فيه على ثلاثين مسألة، ثم المبرد في ثلاث وعشرين، ثم الفراء في سبع عشرة، ثم الكسائي في ثلاث عشرة، ثم ابن عصفور في إحدى عشرة، ثم هشام الضرير في عشر، ثم المازني وابن جني في تسع لكل منهما، ثم السيرافي في ثمان، ثم الزجاج وابن السراج في سبع عند كل منهما، ثم أبو حيان في ست، ثم الجرمي وابن يعيش والشلوين، ثم ابن كيسان، ثم ابن هشام وابن برهان والطوال وثعلب والأشموني والربيعي، ثم النحاس وابن درستويه والسيوطي وقطرب والرماني والزجاجي وابن السيد وابن طاهر وابن خروف، ثم أبو حاتم السجستاني وابن مضاء والدمايني وابن الطراوة وابن الأنباري والبغدادى وابن قتيبة وخالد الأزهرى وابن القطاع الصقلي وابن أبي الربيع وابن الصائغ وابن بابشاذ والعكبري وعضد الدولة وابن أم قاسم المرادي والصفار والسهيلي والأخفش الصغير والجزولي والميداني والصبان» (١٩١).

ومن أمثلة تأثير الأخفش - وهي أكثر من أن تحصى - في نحاة بصرين وكوفيين وبغداديين وأندلسيين :

- منعه توكيد «اختصم الزيدان والهندان» فلا يقال «كلاهما وكلتاها» لعدم الفائدة؛ لأن الاختصام لا يكون إلا بين اثنين أو اثنتين، وقد تابعه على هذا الفراء وهشام وأبو علي الفارسي (١٩٢).

- وإجازته توكيد المحذوف والعطف عليه فيجوز «جاءني الذي ضربت نفسه» و «جاءني الذي ضربت وعمرا» ومشى عليه الكسائي (١٩٣).

- وذهابه إلى أن اسم الفعل لا محل له من الإعراب ، وقد تابعه على هذا طائفة من النحاة واختاره ابن مالك (١٩٤).
- وقوله : إن المنصوب بعد حبذا ولا حبذا حال مطلقا جامدا كان أو مشتقا ، وقد أخذ بهذا أبو علي الفارسي والربيعي (١٩٥).
- وجعله المنوع من الصرف مبنياً على الفتح في حالة الجر ، وقد أخذ به المبرد (١٩٦).
- وتعليقه الجار والمجرور في (لإيلاف قريش) بالفعل المقدر (أعجبوا) بعينه ، وقد أخذ بذلك الكسائي (١٩٧).

#### الأخفش في ميزان التقليد والتجديد :

إن المتأمل في مسلك الأخفش في الفروع والمسائل لا يلبث أن يقرر وهو مطمئن أن هذا الرجل كان نحويًا متميزًا مقتدرا صاحب رأي متفرد في كثير من الأحيان ، وأنه لم يكن مقلدا فحسب في جميع أحواله ، وإنما كانت له مواقف انفراد بها ونزعات أظهرت ماله من القدرة على الاجتهاد والابتكار .

وما عباراته وأساليبه على ما فيها من الصعوبة والوعورة بصرف النظر عما قيل في تعليل ذلك مما هو مذكور ومشهور - إلا صور لقدراته الباهرة ، ولعمقه الكبير ، ولدقته في التعبير والتصوير ولجذته في عرض الحقائق بصورة لم يألّفها كثيرون من نظرائه ومعاصريه وأقطاب الدرس النحوي في زمانه .

ولو أن الأخفش عاش في زمان لم يكن قد مضى فيه على الدرس النحوي في البصرة والكوفة المتنافستين إلا حين يسير من الدهر - لم يسمح

للتراث النحوي في البلدين بأن يتسع ويخصب كما اتسع وخصب فيهما فيما بعد، ولو أنه عاش بعد زمانه بزمان بعيد حين زاد التنافس وكثرت المدارس وتزايد العلماء واتسع البحث في هذا العلم وكثر وعمق وغزر، لكان أكثر تميزاً واستقلالاً واجتهاداً، ولكان نحوه أكثر خصوبة وأكبر حجماً؛ لأنه يشغل حينئذ بذكائه المعهود وإمكانياته القوية في خضم إرث نحوي ضخم ومتشعب وكبير آل إليه، وهذا وذاك يجعلان الميدان أمامه واسعاً والمسائل ثرة والآراء متشعبة ومجال الحديث أوسع وأرحب والنتائج أعمق وأخصب.

على كل حال لقد برز الأخفش بين أقرانه تبريزاً قوياً في هذا الوقت المبكر، وأجاد وأبدع وأفاد، وكان يصول ويجول في كل أحواله مقلداً ومجدداً، فهو في التزامه بمنهج مدرسته وبطريقة أقرانه الأعلام يعد مقلداً بارعاً أرسى معهم دعائم الدرس النحوي في مدرسته، وهو في ابتكاره ونظراته المتميزة مجدد في إطار زمانه، وهو تجديد يختلف في حد ذاته عن التجديد الذي كان من ابن مضاء وأضرابه، ممن سجلهم التاريخ فيمن ثاروا على إرث نحوي ضخم امتلاً تعقيداً وفذلكات عبر مسيرة الزمان الطويلة؛ لأنه كان تجديدًا مازال النحو إبانة غصاً طرياً ومازالت مسأله - وإن كثرت - أكثر صفاء من صفاء اللغويين إلى الإيغال الشديد في نقيضهما مما حمل ابن مضاء وغيره من دعة الإصلاح على حمل لواء الانتقاء الشديد ثم التجديد الكامل.

فأمر المقارنة بين تجديد الأخفش وتجديد ابن مضاء مثلاً مرهون بزمانيهما، وبمسيرة الدرس النحوي في كل من هذين الزمانين، وبين مسائل النحو فيهما وبين طبيعة هذه المسائل في كل منهما فرق كبير لا

يخفى على الدارس البصير.

إنني لا أستطيع أن أقول إن الأخفش كان مقلداً بحتاً، كما هو الشأن في المقلدين التقليديين، الذين لم يعرف عنهم تجديد قط من أي لون كان، أو أنه كان مجدداً بحتاً كما هو حال ابن مضاء على سبيل المثال، ولكني أقول وأنا مطمئن إنه كان أكثر المقلدين تجديداً، وأوسع التقليديين ابتكاراً، إن صح هذان التعبيران. فقد بدت منه لمعات لم تكن لتبدو من غيره، وكانت له مواقف لم نجد لها عند سواه في السابقين، وربما في اللاحقين، وهو وإن التزم في درسه النحوي بما وضع من الأصول الكلية واستقر من القضايا الشاملة كقضية العامل وقضية القياس وقضايا الحدود والعلل، ونهج في هذه الأصول والقضايا نهج أسلافه ومعاصريه ولم يحاول التصدي بالنقد أو التغيير أو التعديل لما وضع منها أو بالإنشاء والابتكار لما يمكن أن يخترع منها أو يضاف إليها - فإنه قد انصرف بكلية بدلاً من ذلك إلى الاهتمام الواسع بالفروع وإلى التعامل الكثير معها، فحوى نحوه لذلك فروعاً كثيرة اجتهد فيها وأضاف إليها ما أسعفه به عقله الذكي وثقافته الواسعة) وهي فروع ماثلة بكثرة في التراث النحوي. وقد حوى نحوه في الوقت نفسه فروعاً أخرى لم يخرج فيها عما استقرت عليه المدرسة البصرية من القواعد القائمة على أسسها الخاصة، واكتفى في هذه الفروع بأن جعلها ميداناً فسيحاً عرض فيه مهارته المنطقية وأبرز عارضته الجدلية كسائر النحاة البصريين.

كما حوى نحوه فروعاً غيرهما سار فيها مسار نحاة الكوفة وفق اتجاهات مدرستها التي تميل إلى التسميح وتتجاوب مع الفطرة اللغوية بمقدار أكبر من غيرها، بعيداً عن التمثل والتفلسف ونحوهما.

لعلنا نكون بعد هذا قد وفقنا في الكلام عن الأخفش ، وأن تكون  
محاولتنا في هذا البحث والحكم عليه ووضعه في موضعه الصحيح من  
مسيرة النحو عبر القرون الطويلة المتعاقبة قد تكللت بالنجاح أو بشيء  
منه ، فإن نكن وفقنا فالفضل لله والحمد له ، وإلا نكن فلعل حديثنا هذا  
خطوة إلى الأمام تعين غيرنا على أن يفيض ويفيد ويصل إلى ما لم نصل إليه  
ويوفق فيما جانبنا فيه التوفيق .

## الإحالات

- ١ - الخفش : صغر العين وضعف البصر خلقة ، أو فساد في الجفون بلا وجع ، أو إبصار في الليل دون النهار وفي يوم غيم دون صحو .  
«انظر الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ٢ : ٨٣» ويحتمل أن لقب أخفشنا لشيء من هذا ، أو أنه تلقب به تشبها بأبي الخطاب ، الأخفش الأكبر .
- ٢ - انظر القفطي ، إنباه الرواة ٢ : ٢٧٨ .
- ٣ - انظر ياقوت ، معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٨ .
- ٤ - ذكر ابن خلكان أنه كان يقال له الأخفش الأصغر ، فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضا صار هذا وسطا «انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢ : ٣٨١» .
- ٥ - مما عرف عن الأخفش أنه كان مثلاً ينهى الناس عن استعمال كلمة «أيش» العامية المنحوتة من «أي شيء» وكلمة «هم» الفارسية التي تقابل «أيضا» وكلمة «بخت» الفارسية التي تقابل «الحظ» «انظر ابن الأنباري ، نزهة الألباء ١٣٥» .
- ٦ - انظر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ٧٣ .
- ٧ - ابن جني ، الخصائص ٣ : ٣١١ .
- ٨ - انظر وفيات الأعيان ٢ : ٣٨١ .
- ٩ - انظر طبقات النحويين واللغويين ٧٣ .
- ١٠ - انظر السيوطي ، بغية الوعاة ١ : ٥٩٠ .
- ١١ - انظر إنباه الرواة ٢ : ٣٧ .
- ١٢ - انظر نزهة الألباء ١٣٤ .

- ١٣- انظر نزهة الألباء ١٣٤ .
- ١٤- انظر الخصائص ٣ : ٣٠١، ٣٠٨، ٣٠٩ .
- ١٥- انظر إنباه الرواة ٢ : ٣٦٩ .
- ١٦- انظر ابن جني، المنصف ١ : ١٣٥ ، والسيوطي ، المزهري  
١ : ٥١٢-٥١٨ .
- ١٧- انظر أبا الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ٨٥ .
- ١٨- انظر البغية ١ : ٥٩٠ .
- ١٩- انظر مراتب النحويين ٧٥ ، والمزهري ٢ : ٤٠٧-٤٠٨ .
- ٢٠- انظر الخصائص ٢ : ٤٢٨ .
- ٢١- القطرب : دويبة كثيرة الحركة هي الصرصار ، وفي لغة أزد :  
القطارب الكلاب الصغار «انظر ابن منظور، لسان العرب ١ :  
٦٨٣» .
- ٢٢- المشهور أن قطربا توفي سنة ٢٠٦هـ ، لكن جاء في مقدمة كتاب  
«الأزمنة» لقطرب نفسه «أخبرنا محمد بن الجهم قال : أملى علينا  
أبو علي قطرب محمد بن المستنير هذا الكتاب في سنة عشر  
ومائتين» مما يعني أنه كان حيا في العام الذي اشتهرت وفاته فيه .  
«انظر مقدمة كتاب الأزمنة لقطرب ، الجزء المنشور من الكتاب في  
مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ج ٢ ، م ٢ ، لسنة  
١٩٢٢م ، ص ٣٤-٤٦» ، وفي المتحف البريطاني أول ٥٣٦  
نسخة منه «انظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٤٠» .
- ٢٢- انظر مثلاً ابن هشام ، مغنى اللبيب ١ : ١١٥ ت محمد محي  
الدين عبد الحميد ، وخالد الأزهرى ، التصريح على التوضيح  
٢ : ٢٧٦ .

- ٢٤ - انظر إنباه الرواة ٢ : ٤١ ، وابن رشيق ، العمدة ٢ : ١٠٥ ،  
والجاحظ ، الحيوان ١ : ٦٣ .
- ٢٥ - انظر المغني ٢ : ٤٩٢ ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ،  
والسيوطي ، همع الهوامع ١ : ٦٦ .
- ٢٦ - انظر طبقات النحويين واللغويين ٧٣-٧٤ .
- ٢٧ - انظر الهمع ١ : ٢٧ ، والمزهر ٢ : ١٤٩ .
- ٢٨ - انظر السيوطي ، الأشباه والنظائر ١ : ١٨ ، ٢ : ٦ ، ٢٥ .
- ٢٩ - انظر الخصائص ١ : ٢ .
- ٣٠ - انظر عبد الأمير الورد ، منهج الأخفش الأوسط ٨٥ .
- ٣١ - انظر أبا الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ٦٩ .
- ٣٢ - السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ٤٩ .
- ٣٣ - انظر مراتب النحويين ٦٨ .
- ٣٤ - انظر مثلاً : الهمع ١ : ١٧٢ .
- ٣٥ - انظر الجاحظ ، الحيوان ١ : ٦٣ .
- ٣٦ - الحيوان ١ : ٩٢ .
- ٣٧ - طبقات النحويين واللغويين ٧٤ .
- ٣٨ - انظر مثلاً الهمع ، ٢ : ١٩٦ ، والتصريح ٢ : ٣٣٣ .
- ٣٩ - انظر إنباه الرواة ٢ : ٣٧ .
- ٤٠ - انظر الأصفهاني ، الأغاني ٣ : ٢٠٣-٢٠٤ .
- ٤١ - انظر مراتب النحويين ١٠٠ .
- ٤٢ - انظر طبقات النحويين واللغويين ٧٣ .
- ٤٣ - انظر نزهة الألباء ١٣٤ .



- ٤٤ - انظر نزهة الألباء ١٣٥ .
- ٤٥ - انظر مثلاً الهمع ٢ : ١٩٦ ، والتصريح ٢ : ٣٣٣ .
- ٤٦ - انظر طبقات النحويين واللغويين ٧٣ .
- ٤٧ - انظر نزهة الألباء ١٣٤ .
- ٤٨ - انظر إنباه الرواة ٢ : ٣٧ .
- ٤٩ - آية ٣٩ من سورة الشورى .
- ٥٠ - انظر الهمع ٢ : ٦٠ ، ويرى الأخفش أن الآية على حذف الفاء وأن إذا شرطية خلافاً للبصريين .
- ٥١ - من آية ١٨٠ من سورة البقرة .
- ٥٢ - انظر العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ١٤٧ ، وقد ذهب الأخفش إلى أن جواب الشرط هو الجملة الإسمية والفاء محذوفة .
- ٥٣ - من آية ١٧٦ من سورة النساء .
- ٥٤ - انظر العدوي ، حاشيته على شرح الشذور ١ : ٥٥ .
- ٥٥ - انظر الهمع ٢ : ٢٢ ، وابن الأنباري ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٣٥٥ .
- ٥٦ - من آية ١٠ من سورة الأعراف .
- ٥٧ - انظر المغني ٢٩٤-٢٩٥ ت د . مازن المبارك وزميله .
- ٥٨ - من آية ١٥ من سورة الحج .
- ٥٩ - من آية ٢٩ من سورة الحج .
- ٦٠ - انظر حاشية العدوي ٢ : ١٧٠ .
- ٦١ - من آية ٢٨٢ من سورة البقرة .
- ٦٢ - انظر نماذج من ذلك في كتاب «سيبويه والقراءات» للدكتور أحمد

- مكي الأنصاري ١١-٣٧.
- ٦٣ - من آية ٣١ من سورة إبراهيم .
- ٦٤ - انظر سيبويه ، الكتاب ١ : ٤٥٢ .
- ٦٥ - آية ٨٢ من سورة يس .
- ٦٦ - انظر الفراء ، معاني القرآن ١ : ٧٤-٧٥ .
- ٦٧ - من آية ٧٥ من سورة آل عمران .
- ٦٨ - كان حريا بالفراء أن لا يذهب إلى هذا لأنه هو نفسه قال أيضا :  
إن من العرب من يسكن الهاء إذا تحرك ما قبلها فيقول ضربته  
ضربا شديدا . « انظر معاني القرآن ١ : ٢٢٣ » ، فكان ينبغي له أن  
يحمل قراءة عاصم ومن قرأ مثله على هذه اللغة دون تشكيك  
فيمن قرأ بها واتهامه بالخطأ أو بتوهم أن الجزم أو التسكين على  
الهاء لا على ما قبلها .
- ٦٩ - آية ٤٠ من سورة النحل .
- ٧٠ - من آية ١٤ من سورة الجاثية . وأبو جعفر هو التابعي القاري يزيد  
ابن الققعاع أحد القراء العشرة الذين انتهت إليهم رئاسة القراءة  
في المدينة وشيخ نافع أحد السبعة ، توفي سنة ١٣٢ هـ « انظر  
الزركلي ، الأعلام ٩ : ٢٤١ » .
- ٧١ - انظر ابن هشام ، شرح الشذور ١٦٤ ، ومحمد محي الدين  
عبد الحميد ، منتهى الأرب ١٦٤ .
- ٧٢ - ينبغي أن توافق جميع القراءات القرآنية الصحيحة متواترة كانت أو  
شاذة بالإضافة إلى آية لغة من لغات العرب - رسم أحد  
المصاحف العثمانية ، ولو احتمالا ، وكل قراءة مخالفة لرسمه

مرفوضة حتى لو طابقت آية لغة من لغاتهم ، كما ينبغي أن تستند إلى المشافهة بالرواية التي لا تميز القراءة بالقياس المطلق ، والتي ترد كل قراءة لاتستند عليها وإن وافقت مقاييس النحاة .

- ٧٣ - من الآية ١٨٦ من سورة البقرة .
- ٧٤ - انظر العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ١٥٣ - ١٥٤ .
- ٧٥ - من الآية ٢٤ من سورة البقرة .
- ٧٦ - انظر أبا جعفر النحاس ، إعراب القرآن ١ : ٢٠١ ، وابن منظور ، لسان العرب ١ : ١٩٤ .
- ٧٧ - من الآية ١٦ من سورة البقرة .
- ٧٨ - انظر التبيان في إعراب القرآن ١ : ٣٢ ، ومكي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٢٦ .
- ٧٩ - انظر أبا جعفر النحاس ، إعراب القرآن ٣ : ٤٣ .
- ٨٠ - من الآية ٦٣ من سورة طه ، وهي مرسومة في المصحف «إن هذان لساحران» .
- ٨١ - انظر التبيان في إعراب القرآن ١ : ٨ ، وأبا جعفر النحاس ، إعراب القرآن ١ : ١٧٤ .
- ٨٢ - من الآية ٥٢ من سورة الصافات .
- ٨٣ - انظر أبا جعفر النحاس ، إعراب القرآن ٣ : ٤٢١ .
- ٨٤ - من آية ١٨٤ من سورة البقرة .
- ٨٥ - انظر مكي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٨٦ .
- ٨٦ - آية ٣٣ من سورة الرسائل ، ويجمع جمل على جمال ، وجمال تجمع على جمالات بكسر الجيم فهي جمع الجمع «انظر الفيومي ،

- المصباح المنير ١١٠» .
- ٨٧ - انظر أبا جعفر النحاس ، إعراب القرآن ٥ : ١٢١ ، وأبا البركات ابن الأنباري ، البيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ٤٨٨ ، لكن في التبيان للعكبري ٢ : ١٢٦٥ أن الضم لغة .
- ٨٨ - انظر طبقات النحويين واللغويين ٤١ .
- ٨٩ - ابن فارس ، الصاحبى ٤٦٨-٤٦٩ .
- ٩٠ - الزمخشري ، المفصل ، خطبة الكتاب .
- ٩١ - الرازي ، مختار الصحاح ٥٧٤ .
- ٩٢ - سيويه ، الكتاب ٢ : ٣١٢ .
- ٩٣ - انظر الكتاب ١ : ٢٢٧ .
- ٩٤ - مقامات الحريري ، المقامة المكية ١١٩ .
- ٩٥ - مقامات الحريري ، المقامة الشيرازية ٣٠٥ .
- ٩٦ - من آية ٦٠ من سورة البقرة ، وقد قرأ مجاهد وطلحة وعيسى بكسر الشين ، وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع من العشرة بالسكون ، وهو المرسوم في المصحف ؛ لأن القرآن نزل بلغة الحجاز ، أما فتح الشين فهو لغة ، وقرئ به في هذه الآية شذوذا .
- ٩٧ - انظر ابن منظور ، لسان العرب ٤ : ٥٦٩ ، ومثل هذا يقال في الأعداد من إحدى عشرة إلى تسع عشرة امرأة ، أما المذكر فيقال له أحد عشر إلى تسعة عشر ، بفتح الشين لاغير ، ويقال : عشرة رجال بفتح الشين وعشر نسوة بسكونها . «انظر أيضا مختار الصحاح ٤٣٣» .
- ٩٨ - انظر ابن هشام ، شرح شذور الذهب ١٩٢ .

- ٩٩ - انظر مكى بن أبى طالب، مشكل إعراب القرآن ١: ١٢٢.
- ١٠٠ - انظر السيوطي، الاقتراح ١٩-٢٠.
- ١٠١ - انظر المغني ١: ٢٨٦ ت محمد محي الدين عبد الحميد.
- ١٠٢ - انظر لسان العرب ١٣: ٢٠٧.
- ١٠٣ - من آية ١٦١ من سورة الأنعام. وهي بكسر القاف وفتح الياء المخففة قراءة ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي من السبعة المرسومة في المصحف، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو من السبعة أيضاً «قيماً» بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة.
- ١٠٤ - انظر عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ٤٥.
- ١٠٥ - جرى ابن مالك في الخلاصة «باب النسب» على مذهب سيبويه فقال:
- وإن يكن كشية ما الفا عدم فجره وفتح عينه التزم
- ١٠٦ - انظر نزهة الألباء ٤١.
- ١٠٧ - انظر الزجاجي، الإيضاح في علل النحو ٤٩.
- ١٠٨ - الكتاب ١: ٢.
- ١٠٩ - انظر الإيضاح ١١٤.
- ١١٠ - الكتاب ١: ٣.
- ١١١ - انظر الإيضاح ١٠٩.
- ١١٢ - وقيل إنه لعمر بن قعاس، وينسب أيضاً للكميت «انظر هارون، معجم شواهد العربية ١: ٣٨٦».

- ١١٣ - الطب: العادة «انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط ١: ١٠٠».
- ١١٤ - انظر المغني ٣٨ ت د. مازن المبارك وزميله.
- ١١٥ - انظر الهمع ١: ١٢٩، وشرح الأشموني للألفية ١: ٢٤١، وشرح ابن عقيل للألفية ١: ٢٤٩.
- ١١٦ - من آية ١٥ من سورة طه.
- ١١٧ - انظر المغني ٢: ٤٣٠ ت محمد محي الدين عبد الحميد.
- ١١٨ - من آية ٩٠ من سورة النساء.
- ١١٩ - من آية ١٧٧ من سورة البقرة.
- ١٢٠ - انظر الخصائص ٢: ٤٥١، ٤٥٢ والهمع ٢: ٥١.
- ١٢١ - من آية ١٤٨ من سورة البقرة.
- ١٢٢ - انظر ابن يعيش، شرح المفصل ٣: ٢١.
- ١٢٣ - انظر الهمع ١: ١٠٦.
- ١٢٤ - انظر ابن يعيش، شرح المفصل ١: ١٠٩، وشرح ابن عقيل للألفية ١: ٢٧٥.
- ١٢٥ - من آية ٤٨ من سورة البقرة.
- ١٢٦ - وعن سيبويه أن الجار والمجرور حذفاً دفعة واحدة «انظر المغني ٢: ٦١٧ ت محمد محي الدين عبد الحميد.
- ١٢٧ - انظر ابن يعيش، شرح المفصل ٢: ٣٠.
- ١٢٨ - انظر خالد الأزهرى، التصريح ١: ٣٨١.
- ١٢٩ - الحرميان هما ابن كثير المكي المتوفى سنة ١٢٠ هـ، ونافع المدني المتوفى سنة ١٦٩ هـ، وكلاهما من السبعة، وأبو بكر هو شعبة

- ابن عياش الأزدي الكوفي الخياط المتوفى سنة ١٩٣ هـ .
- ١٣٠- آية ٤ من سورة الطارق .
- ١٣١- انظر ابن هشام ، شرح الشذور ٢٨٦ ، وشرح الأشموني للألفية ٢٩٣-٢٩٤ .
- ١٣٢- انظر شرح الرضي للكافية ٢: ٣٤٨ .
- ١٣٣- من آية ٢٤٦ من سورة البقرة .
- ١٣٤- من آية ٣٤ من سورة الأنفال .
- ١٣٥- انظر العكبري ، التبيان ١: ١٩٧ ، والسيوطي ، الأشباه والنظائر ٢: ٢٣٧ ، والتصريح ٢: ٢٣٣ .
- ١٣٦- انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ٨: ١٤ ، والمغني ٢: ٤٤٣-٤٤٤  
ت محمد محي الدين عبد الحميد .
- ١٣٧- انظر ابن جني ، المنصف ١: ١٧٦ ، ١٨٠ .
- ١٣٨- انظر التصريح ٢: ٧٣ .
- ١٣٩- انظر الهمع ١: ١٣٥ .
- ١٤٠- قصد الشاعر بالسبعين سبع سماوات وسبع أرضين «انظر الشنقيطي ، الدرر اللوامع ١: ١٨» .
- ١٤١- انظر الهمع ١: ٤٣ .
- ١٤٢- انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ٤: ١١٤ .
- ١٤٣- انظر الصبان ، حاشيته على شرح الأشموني ١: ٢٨٨ .
- ١٤٤- من آية ١١١ من سورة هود .
- ١٤٥- زججتها : طعنتها ، القلوص : الناقة .
- ١٤٦- انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ٣: ٢٢ .

- ١٤٧- انظر الهمع ١: ٩٤ .
- ١٤٨- انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ٧: ٦٥-٦٦ .
- ١٤٩- انظر الهمع ١: ١٢٩ .
- ١٥٠- من آية ١٥ من سورة طه .
- ١٥١- انظر ألفية ابن مالك ، باب كان وأخواتها .
- ١٥٢- انظر شرح ابن عقيل للألفية ١: ٢٤٩-٢٥٠ .
- ١٥٣- انظر شرح الأشموني للألفية ١: ٢٤١-٢٤٢ .
- ١٥٤- انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ٣: ١٢٢ .
- ١٥٥- انظر الهمع ١: ١١٦ .
- ١٥٦- انظر الهمع ١: ٢٣٤ .
- ١٥٧- انظر الهمع ١: ٩٤ ، ١٥: ٢ ، والتصريح ٢: ١٠٨ .
- ١٥٨- أورد أبو تمام هذا البيت مع بيت قبله في ديوان الحماسة ونسبه إلى بعض الفزاريين «انظر الشنقيطي ، الدرر اللوامع ١: ١٣٥» .
- ١٥٩- انظر شرح الأشموني على الألفية ٤: ٦ ، والتصريح ١: ٢٥٨ .
- ١٦٠- انظر الهمع ٢: ١٦٦ .
- ١٦١- انظر الهمع ٢: ١٨١ .
- ١٦٢- انظر الكتاب ٢: ٣٣٥ ، وابن جني ، المنصف ١: ٢٥ ، وشرح الرضي للشافعية ٢: ٣٨٥ .
- ١٦٣- انظر المغني ١: ٣٢٤-٣٢٥ ت محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ١٦٤- من آية ٣٤ من سورة الأنعام .
- ١٦٥- من آية ٤ من سورة نوح .
- ١٦٦- من آية ٣١ من سورة الكهف .



- ١٦٧- انظر الهمع ١: ١٠٣ .
- ١٦٨- من آية ١٨٤ من سورة البقرة .
- ١٦٩- انظر الهمع ١: ٩٤ ، ١٣٦ .
- ١٧٠- انظر المغني ٢: ٦٢٥ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الهمع ١: ٨٨ .
- ١٧١- من آية ١ من سورة النساء .
- ١٧٢- انظر حاشية العدوي على شرح الشذور ٢: ١٩٥ .
- ١٧٣- انظر حاشية العدوي ٢: ٢٠٧ .
- ١٧٤- انظر حاشية العدوي ٢: ١٨٠ .
- ١٧٥- انظر ابن هشام ، شرح شذور الذهب ٤٤٣ .
- ١٧٦- انظر حاشية العدوي ٢: ١٩٦ .
- ١٧٧- انظر حاشية العدوي ٢: ١٩١ .
- ١٧٨- انظر شرح شذور الذهب ٤٢٩ ، وحاشية العدوي ٢: ١٧٩- ١٨٠ .
- ١٧٩- قيل إن عدة ما تطابق فيه رأي الأخفش مع رأي الكوفيين خمسون مسألة فقط . «انظر عبد الأمير الورد ، منهج الأخفش الأوسط ٣٩٨» .
- ١٨٠- الخصائص ١: ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
- ١٨١- ثبج البحر: وسطه ومعظمه «انظر القاموس المحيط ١: ١٨٧» .
- ١٨٢- السيوطي ، الاقتراح ٨٢ .
- ١٨٣- انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ١: ١٠٩ ، والمغني ١: ٢٥٤ ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، وشرح ابن عقيل للألفية ١: ٢٧٥-٢٧٦ .

- ١٨٤- انظر الهمع ٢: ٦١، والتصريح ٢: ٢٤٨.
- ١٨٥- انظر الخصائص ١: ٤١.
- ١٨٦- انظر حاشية العدوي ٢: ١٦٧.
- ١٨٧- أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين ٦٨.
- ١٨٨- القفطي، إنباه الرواة ٢: ٣٩.
- ١٨٩- السيوطي، المزهري ٢: ٤٠٤.
- ١٩٠- لا أظن إحصاء هذا الباحث على هذا النحو من تحديد العدد والجزم بالتأثير والتأثر فيه ممكنا أو على الأقل دقيقا، ولا سيما في مثل ظروفنا العلمية المعتادة، وعلى أيدي أمثالنا من المعاصرين الذين لم يخلصوا للدرس كما خلص له القدماء، اللهم إلا إذا كان هذا الباحث قد نقل ما قاله عن غيره، وهو ما لم يذكره.
- ١٩١- عبد الأمير الورد، منهج الأخفش الأوسط ٤٤١-٤٤٢.
- ١٩٢- انظر التصريح ٢: ١٢٣.
- ١٩٣- انظر الهمع ١: ٩١.
- ١٩٤- انظر التصريح ٢: ١٩٥.
- ١٩٥- انظر الهمع ٢: ٨٩.
- ١٩٦- انظر ابن يعيش، شرح المفصل ١: ٥٨.
- ١٩٧- انظر التصريح ١: ٣٣٧.

### المصادر والمراجع

- الأزهرى - خالد - شرح التصريح على التوضيح (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت).
- الإستراباذي - الرضي - شرحه على شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وزمليه (القاهرة: مطبعة حجازي، ١٣٥٦هـ).
- الإستراباذي - الرضي - شرحه على كافية ابن الحاجب (استانبول ١٣٢٥هـ).
- الأشموني - أبو الحسن - شرحه على ألفية ابن مالك (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت).
- الأصفهاني - أبو الفرج - الأغاني - تحقيق عبدالله العلايلي وزميله - ط ٣، (بيروت: ٦٤ - ١٩٦٦م).
- ابن الأنباري - أبو البركات - البيان في غريب إعراب القرآن - تحقيق د. طه عبد الحميد طه - مراجعة مصطفى السقا (القاهرة: دار الكتاب العربي ١٩٦٩م).
- ابن الأنباري - أبو البركات - نزهة الألباء في طبقات الأدباء - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر - ١٩٦٧م).
- الأنصاري - د. أحمد مكي - سبويه والقراءات (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م).
- الأنصاري - ابن هشام - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٧ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٣م).

- الأنصاري - ابن هشام - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مطبعة المدني، د.ت) وتحقيق د. مازن المبارك وزميله (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م).
- بروكلمان - كارل - تاريخ الأدب العربي - ترجمة د. رمضان عبد التواب (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م).
- الجاحظ . عمرو - الحيوان - تحقيق عبدالسلام هارون - ط ٢ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥م).
- ابن جني - أبو الفتح - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م).
- ابن جني - أبو الفتح - المنصف شرح تصريف المازني - تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠م).
- الحديثي - د. خديجة - أبنية الصرف في كتاب سيبويه (بغداد: ١٩٦٥م).
- الحريري - القاسم بن علي - المقامات الحيرية (بيروت: ١٩٦٥م).
- الحموي - ياقوت - معجم الأدباء - تحقيق مرجليوت - الطبعة الأخيرة (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٦م).
- ابن خلكان - أحمد بن محمد - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق د. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م).
- الرازي - محمد بن أبي بكر - مختار الصحاح -

تحقيق محمود خاطر بك (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٢٢م).

- ابن رشيقي - أبو علي الحسن - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده  
- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط ٤، (بيروت: دار  
الجيل، ١٩٧٢م).

- الزبيدي - محمد - طبقات النحويين واللغويين - تحقيق محمد أبي  
الفضل إبراهيم (القاهرة: الخانجي، ١٩٥٤م).

- الزجاجي - أبو القاسم - الإيضاح في علل النحو - تحقيق د. مازن  
المبارك (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٥٩م).

- الزركلي - خير الدين - الأعلام - ط ٣، (بيروت: ١٩٦٩م).

- الزمخشري - محمود بن عمر - المفصل - تحقيق محمد بدر الدين  
النعساني (القاهرة: مطبعة التقدم، ١٣٢٣هـ).

- سيوييه - أبو بشر عمرو - الكتاب (القاهرة: مطبعة بولاق،  
١٣١٦هـ).

- السيرافي - أبو سعيد - أخبار النحويين البصريين - تحقيق فريتسي  
كرنكو (بيروت: ١٩٣٦م).

- السيوطي - جلال الدين - الأشباه والنظائر - تحقيق طه سعد  
(القاهرة: ١٩٧٥م).

- السيوطي - جلال الدين - الاقتراح في أصول النحو - ط ٢،  
(حيدر آباد: ١٣٥٩هـ).

- السيوطي - جلال الدين - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة  
- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: عيسى البابي الحلبي،  
١٩٦٤م).

- السيوطي - جلال الدين - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه - ط ٣ (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت).
- السيوطي - جلال الدين - همع الهوامع شرح جمع الجوامع (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
- الشنقيطي - أحمد الأمين - الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع (القاهرة: مطبعة كردستان، ١٣٢٨هـ).
- الصبان - محمد - حاشيته على شرح الأشموني (القاهرة: عيسى البابي الحلبي د.ت).
- ضيف - د. شوقي - المدارس النحوية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م).
- ابن أبي طالب - مكّي - مشكل إعراب القرآن - تحقيق ياسين محمد السنواس (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤م).
- عبد الباقي - محمد فؤاد - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بيروت: د.ت).
- عبد الحميد - محمد محيي الدين - منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب - ط ١٠، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦٥م).
- العدوي - محمد عبادة - حاشيته على شرح شذور الذهب (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت).
- ابن عقيل - بهاء الدين عبدالله - شرحه على ألفية ابن مالك - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط ٧ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٣م).

- العكبري - أبو البقاء - التبيان في إعراب القرآن - تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م).
- ابن فارس - أحمد - الصحابي - تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: عيسى البابي الحلبي د. ت).
- الفراء - أبو زكريا - معاني القرآن - ج١ - تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار - ط ٢، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م).
- الفيروزآبادي - مجد الدين محمد - القاموس المحيط - ط ٢، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٢م).
- الفيومي - أحمد - المصباح المنير - تحقيق د. عبدالعظيم الشناوي (القاهرة: دار المعارف ١٩٧٧م).
- القاضي - عبدالفتاح - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٢م).
- القرطبي - ابن مضاء - الرد على النحاة - تحقيق د. شوقي ضيف (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٤٧م).
- قطرب - مقدمة كتاب الأزمنة - (الجزء المنشور من الكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٢٢م).
- القفطي - إنباه الرواة على أنباه النحاة - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م).
- اللغوي - أبو الطيب - مراتب النحويين - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥م).
- ابن مالك - محمد - الألفية - ط ٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٠م).

- المخزومي - د. مهدي - الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه  
- ط ٢ (بيروت : دار الرائد العربي ١٩٨٦ م).
- ابن منظور - محمد - لسان العرب (بيروت : دار صادر، د. ت).
- النحاس - أبو جعفر - إعراب القرآن - تحقيق د. زهير غازي  
زاهد - ط ٢، (مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٥ م).
- النفاخ - أحمد راتب - فهرس شواهد سيبويه (بيروت : ١٩٧٠ م).
- هارون - عبدالسلام - معجم شواهد العربية (القاهرة : مطبعة  
الخانجي، ١٩٧٢ م).
- الورد، د. عبدالأمير - منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية  
(بغداد : ١٩٧٥ م).
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش - شرحه على مفصل الزخشي  
(القاهرة : المطبعة المنيرية، د. ت).



## حدیث شریف

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ  
تَنْكُرُونَهَا بِهَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟  
قَالَ: «تَوَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ  
اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ «وَالْأَثَرَةُ: الْإِنْفَرَادُ  
بِالشَّيْءِ عَمَّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ».